

وبهجتها، وإصلاح قوس باب جامع الأندلس ذلك الأثر الخالد، وإصلاح مدرسة العطارين.

قدس الله روحه الطاهرة وجعله في مقعد صدق عند مليك مقتدر آمين، وجعل البركة في خلفه إلى يوم الدين.

سلطاننا المحبوب

أبو عبد الله محمد بن يوسف

ابن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام

أيد الله نصره، وجعل بمحاسنه عصره

ولد بالقصر السلطاني بفاس عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف وأدخل للمكتب المعد لتعليم أبناء الملوك والأمراء القراءة والكتابة والقرآن الكريم حفظاً ورسماً بين جدران القصر الإمامي.

ولما استوى والده الإمام قدس الله روحه على عرش آبائه الملوك الأكرمين واتخذ رباط الفتح عاصمة الإمارة والإدارة نقل سيدنا المترجم إليها مع جل إخوته وعين لهم مكتبا خاصا بهم داخل قصره السعيد وأساتيد ملازمين لهم إلى أن حفظوا القرآن الكريم وأنس منهم التأهل لأخذ العلوم الدينية، ودرس اللغتين العربية والفرنسية، فعين له أساتيد للقيام بهذا الواجب وما عرف عن مولانا الإمام قط أنه انتظم في سلك المتعلمين بمدرسة عمومية ولا أحد من إخوته وأعيامه ولا ينبئك مثل خبير.

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره زوجه والده المقدس بكريمة من صنوه المولى الطاهر وأول لعمره بعاصمة الجنوب مراكش وليمة تجلت فيها مظاهر الملك وأبهة السلطنة حضرها سائر أعيان المملكة المغربية ورجال دولتها الأنجاد، من سائر الأغوار والأنجاد، وعموم البلاد.

وبويع له بالقصر السلطاني من فاس بمشور الدكاكين إثر صلاة الجمعة ثالث وعشري ٢٣ جمادى الأولى عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف موافق ١٨ ثامن عشر

نفاير سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف.

ولما استوى على عرش أسلافه الطاهرين أصدر مكاتبيه الشريفة لسائر ولاته حاضرة وبادية بالإعلام بما أتاح الله له من النصر العزيز واتفاق ذوي الحل والعقد على بيعته وأمرهم بجمع كلمة من إلى نظرهم من الأيالة الشريفة على بيعته والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين على عادة من تبوأ عرش الخلافة من أسلافه. ولنورد هنا ما كتب به لعمه خليفته بفاس محل أخينا الفقيه الأجل مولاي المأمون رعاه الله، ولفظه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع الشريف نقش داخله: (محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه) وبزواياه: (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الله. محمد. أبو بكر. عمر. عثمان. علي) وبدائره: ومن تكن برسول الله نصرته البيتين:

«عمنا الخليفة الأراضى مولاي المأمون سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فغير خفى أن كل موجود يعتريه الفوت، وكل نفس ذائقة الموت، وأن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار بقاء لأوليائه، ولا مقر جزاء لأصفيائه، ومن أجل ذلك استأثر سبحانه بروح سيدنا الوالد المعظم، أمير المؤمنين الأفخم، وناداه منادي الكرامة إلى دار السلامة، فلبى الداعي، وانتقل إلى رحمة محمود المساعي، مأسوفا عليه من كل الناس، على اختلاف الطبقات والأجناس وذلك عقب مرضه الذي لازمه زمنا طويلا، وحل بساحته الطاهرة ضيفا ثقيلا، وكان معه مستسلما صابرا إلى أن وافاه الأجل المحتوم محتسبا شاكرا، وقد شيعت جنازته المباركة في محفل رهيب، وموكب مهيب، شارك فيه بغاية الأسف جناب ممثل الدولة الجمهورية الفخيمة المقيم العام، ومن معه من الجنرالات وكبار الموظفين والحكام، وسائر عساكر الحامية الفاسية، بصفة استعراض عليه مراسم التأثر بادية، وأقبر رحمه الله بروضه أسلافنا المقدسين، في جوار جدنال الأكبر مولانا عبد الله قدوة الملوك المهتدين، بصبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى عامه أسكنه الله فسيح الجنان، وعامله بالرضى

والرضوان، ثم بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور اجتمع أهل الحل والعقد من الوزراء، والشرفاء والأعيان والعلماء، من أهل فاس وأحوازها ومن انضم إليهم من وفود المدن والثغور بقصد النظر في مبايعة من يقوم بأعباء الخلافة الإسلامية، ويلحظ بعين المصلحة شئون الأمة المغربية، فانعقد الإجماع على مبايعة جنابنا الشريف، وتم الأمر بكتب البيعة السعيدة وإمضائها عن طوع لا انتقاد معه ولا تكليف، فأصبحنا بمنة الله مطوقين بحمل أعباء السلطنة السنية، عازمين على اتباع سلفنا الصالح بإخلاص وصدق نية، مستمدين من الله الإعانة والتأييد، والتوفيق والتسديد، والله يؤتي ملكه من يشاء من عباده، ويتولى فضله أمور من اعتمد عليه وفق مراده، هذا وقد انتقلنا صبيحة يوم الإثنين الرابع والعشرين من الشهر المذكور إلى عاصمتنا الرباطية في موكب ملوكي تتقدمه السعادة وتحيط به الألفاف الخفية، فحللنا به حلول يمن وأمان، وعز مكين ثابت الأركان، في مظاهرات أفراح بهية، ومواسم احتفالات باهرة عليّة، وأعلمناكم لتشاطروا الأمة الإسلامية في مصابها الأليم، وتشاركوها كذلك من أجل ولايتنا الشرعية في فرحها العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والسلام، وحرر بعاصمة الرباط في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٣٢٧^(١)، صح منه.

وقد حضرت في حفلة رسمية أقيمت لجلالته بباريس في زيارته لها أيام معرضها الاستعماري الذي كان رئيسه ومرتب شئونه هو المرشال ليوطي وذلك أوائل غشت سنة ١٩٣١ وكان الاحتفال بجنابه العالي بقصر بلدية باريس حضره وجوه الدولة وعظماؤها وألقيت فيه عدة خطب ترحيب ثم قامت جلالته فألقى حفظه الله خطبة في ذلك المهرجان العظيم بحماسة هاشمية وفصاحة قرشية أدهشت الحاضرين من غير تلثم ولا تلكنع ونص الخطاب:

(١) كذا بالأصل وصوابه ١٣٤٦.

الحمد لله:

سعادة الرئيس، يصعب على من يعرف باريس ألا يرجع إليها، ولا يغلب الحنين إلى الوطن الشوق إلى عاصمتكم الزهراء التي تخلب بمحاسنها العديدة العديمة النظير، ولو لم يكن منها إلا حسن ذلك الترحاب الفرنسي الذي تقابلون به أضيافكم لكفى في حث الناس على الإياب إليها، على أنه يوجد بباريس غير ذلك من المحاسن إذ يحظى زائره بكل ما يتمنى من معاهده العديدة ومتاحفه الفريدة وخزانات الكتب ومدارسه الشهيرة وشوارعه الفسيحة ومنتزهاته المختلفة وبالأخص تلك الروح الفاضلة المترتبة من اللطف والطموح إلى الجديد التي كست سكان باريس ببرد ذلك الصفاء والانشراح الذي يُشعر الغريب أنه في وطنه الحقيقي.

لما جاء والدنا المقدس مجيئه الرسمي الأول يحمل إليكم تحية مسلمي المغرب كنا بمعيته الشريفة وأعجبنا إذ ذاك بمحاسن باريس التي لا يوجد لها نظير وجئنا اليوم منشرحي الصدر نقدم لكم عبارات صداقتنا الثابتة وشكراننا الوافر المخلد، على أننا لا ننسى حسن ضيافة باريس للإسلام حين ساعد تلك المساعدة الثمينة على تشييد المسجد والمعهد الإسلامي ونعلم أن اعتناءكم بمن تشملهم فرنسا بجميل رعايتها لم تقف عند هذا الحد فإن من أسموه من المستشفى الإسلامي يناسب محاسن عاصمتكم الزاهرة، ومبادئ فرنسا الباهرة؛ تلك المبادئ التي سلكها أجل سلوك ممثلي دولتكم بالمغرب سواء مسيو لوسيان سان الي ملك قلوب إخواننا التونسيين وسائر رعايانا بحسن خبرته الإدارية، وجميل عواطفه القلبية، ومسيو ستيك الذي خلف عندنا تذكراً خالداً من جميل لطفه وكمال عقله، والمشير ليوطي الذي أسس رقي المغرب على قواعد ثابتة، وبرهن بأعماله العجيبة في المعرض الاستعماري على عبقريته وكمال نشاطه.

يفد عليكم كثير من المسلمين الذين لا يأتون لمجرد السعي وراء أسباب المعيشة بل

للحصول على مبادئ التقدم العصري ووسائل الحياة التي حصلتم عليها منذ أحقاب
مشمولين برعايتكم وجميل سهركم على مصالحهم، كما يأتي إلى المغرب جم غفير من
الفرنسيين بما لهم من الأموال الطائلة ومزايا الخبرة والتجريب، وبمجرد ما نشرته
فرنسا حمايتها على المغرب تشاركنا جميعا في العمل وحصلنا على حسن نتائج ذلك
وسعينا في جميل المصادقة التي أثمرت ثمارها اليانعة، ولا نزال نبذل لكم ثقتنا الوافية
الكاملة وخلص مشاركتنا كما توفرون لنا إعانتكم الثمينة المنتجة التي تؤهلنا لمزاحمة
الأمم العصرية وبذلك فرنسا الفخيمة في متواصل صعودها إلى أعلى مدارج الرقي
جوهرة أخرى لتاج حضارتها فلا يزال يلوح بدر كمالها في الدهور، وتشرق شمس
مجدها بين الأمم في متعاقب العصور.



الاميران العسكريان صاحبان النجوم المبرزين ، مولاي الحسن وولي العهد (من اليسار)
وعليهما السرى عند الله ، أمير (في ترمينا وأقرهما بين طلائع والدمية المظلم

ولما أتم مولانا خطابه بلسانه العربي المبين ترجمه رئيس ديوانه الملكي للفرنسية لإفادة الحضور.

وأولاده الأمراء والأميرات أكبرهم ولي عهده وسمي جده، أبوه علي المولى الحسن وكانت ولادته أثمر الله غرسه زاد في حسه ومعناه بالقصر السلطاني من رباط الفتح بين الظهريين من يوم الثلاثاء فاتح صفر الخير عام ثمانية وأربعين وثلاثمائة وألف موافق تاسع يولييه سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف. وكان الاحتفال بوليمة عقيقة سموه بقبة النصر ومشورها احتفالاً تجلت فيه أبهة الملك وعظمة السلطان في أكبر وأفخم مجاليهما حضره الأمراء والوزراء والرؤساء والقضاة والباشوات وأعيان الكتاب والضباط والحرس المولوي والموسيقى، وكان الذي تولى ذبح أول كشب عُقَّ به عن سموه وزير العدلية الشريفة صديقنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الرندة وباقي الكباش تولى ذبحه حاجب الحضرة السلطانية محبنا السيد محمد الحسن بن إدريس ابن يعيش، والسلطان يومئذ بياريس.

وشقيقه المولى عبد الله ولد بالقصر العامر من الرباط غروب يوم الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٥٤ وكان الذي تولى ذبح أول كبش عُقَّ به عن سموه وزير العدلية وباقي الكباش ذبحها الحاجب السلطاني المذكور وكان الاحتفال بوليمة العقيقة بقبة النصر حضره الأعيان والوزراء وكبار الموظفين والعسكر والموسيقى.

وقد أحيا هذا السلطان ما سنه أسلافه الكرام الصناديد من الأخذ بأسباب الرياضة وركوب الصافات الجياد وتمارين نفسه على الكر والفر كل صباح قبيل شروق الشمس غالباً.

أما آثاره الأثيرة، ومحاسنه الكثيرة، فشيء يفوق العد، ويأبى أن يشمله حد، ولنورد هنا ما تحقق لدي واستحضرت من ذلك، سالكا أوجز المسالك، فأقول سائلاً من الله تبليغ مولانا كل مأمول.

آثاره بفاس

منها نظره «أدام الله نصره، وزين بآثاره الخالدة عصره» فيما يحفظ نظام الدين، ويحميه من فوضى المعتدين، وصرفه مع كمال الاعتبار وجهته المنيفة إلى معهد العلم الكلي الذي يكرع من حياض معارفه المتدفقة الحاضر والباد، بل الذي هو أول كلية عالمية أسست بالمغرب الأقصى لنفع العباد، ألا وهو مشرع العلم الروي، المعروف بالجامع القروي، فصرف عنايته الملكية، ومهمته العلوية العُلوية، إلى ما يضمن رخاء بال عمارة العلماء ومعيشتهم حتى يتهيأ لهم صرف أوقاتهم ونفائس أعمارهم في بذل نفائس الإفادة، ودرر الإجادة، ويضمن للمشتغلين بداخله من الطُّلاب، نجاح الطُّلاب، فيقبلون بشرائهم على أخذ العلم ونفوسهم تواقه إليه، مقبلة بلهف شديد عليه، لا تبغي به بدילה، ولا ترى سواه لهمتهم عديلا، نفوس ينفذ العلم إليها تدريجيا، ويكون لها في كل وقت نجيا، بحيث لا تمر عليها الأعصار، وقد وضعها من ضياع الوقت إعصار، ولا شك أن ذلك مما يعين على شرح الصدور، لتحصيل ما في الطروس والسطور، بل يرقى الأفهام، ويحفظها من تحبط الأوهام، ويحليها بالذوق الصحيح، والتفكير الصريح، المخفور بسلاح المنطق المسلم الراقي من فلسفة التشريع والحكمة في أرقى سلم، المبرهن على أن نبغاء الأمة، عالة على الإسلام في العلوم والحكم، والتاريخ في ذلك هو العدل الحكم، فكم درست بهذا المعهد القروي من علوم كونية لا تعرف الآن إلا أسماؤها، ولا تظل اليوم أرضه سجاؤها، فلذلك تعلقت همة مولانا الإمام حامي بيضة الإسلام بترتيب أزمنة التعلم والتعليم ترتيبا دوريا حتى تفتح القلوب المغفلة، وتدرس العلوم المغفلة، وتتبه النفوس المغفلة، فما كادت أن تتوجه همة مولانا الفعالة إلى هذا العمل، حتى تم الأمل، شأن ما كان لأسلافه الطاهرين، وآبائه المتقين الأكرمين، من بناء صروح المكارم، وتأسيس ما لها من الدعائم، وتجديد دارس المعالم، ولا سيما بفاس فنسلت الطلاب من الحواضر

والبوادي إليه من كل حذب، ولا سيما حيث تحققوا أن مولانا أيده الله عطف عليهم وحذب، وتمكن من نفوسهم ذلك التدرج التعليمي والزمني حتى وثقوا كل الوثوق بنجاح سعيهم، وحسن عاقبة وعيهم، وكان لصدور ظهيره الشريف بذلك رنة فرح بينهم، تهون عليهم هجرتهم في طلب العلم وبينهم.

وذلك بتاريخ سادس وعشري ذي الحجة الحرام عامة ثمانية وأربعين وثلاثمائة وألف.

وعين لمراقبة التدريس بعض طلبة الكلية القروية من أهل فاس في مقابلة راتب شهري قدره عشرة مائة فرنك وخمسون فرنكا، وقسم المدرسين إلى ثلاث طبقات، وحصر عدد الأولى في ثمان ورتب لكل واحد منها خمس عشرة مائة فرنك مشاهرة، وحصر عدد الثانية في اثني عشر والراتب الشهري لكل منها اثنتا عشرة مائة فرنك وخمسون فرنكا، وحصر عدد الثالثة في اثني عشر براتب شهري قدره ألف فرنك لكل مدرس، وعين لكل طبقة ما تتعاطى تدريسه من الكتب العلمية على أن تبدأ الدروس من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة صباحا، ومن الثانية إلى الخامسة مساء وحدد لكل درس ساعة زمنية وأنيط بكل مدرس إلقاء ثلاثة دروس يوميا مع تخصيص كل فرد من أفراد الطبقات الثلاث بإقراء فن لا يتجاوزه إلى غيره وجعل ساعات التعليم بالنسبة للمتعلم ستا وبالنسبة للمعلم ثلاثا يفصل بين الست ساعات بشرطها انتجاعا للراحة، سعيًا وراء فائدة الاستراحة، إذ الطبع المكدود لا يصلحه إلا التنقل خارج الحدود في ظل القانون الممدود، من الأدب المحدود، وأناط ملاحظة مراقب الدروس برئيس المجلس العلمي بالحضرة الفاسية وعلق شئون المجلس العلمي بأنظار المجلس الأعلى بالرباط المتركب من وزرائه الكرام، وهنا يحلو إيراد بعض الظواهر المولوية المتعلقة بما أوردناه، المفصلة لما أجهلناه، تسميا للفائدة دونكم نص أولها:

«الحمد لله، محب جانبنا الشريف رئيس المجلس العلمي بالقرويين الفقيه السيد أحمد بن الجيلالي سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد؛ فقد اقتضى نظرنا الشريف تحسين حالة التعليم بالقرويين بعد اتفاقنا مع المقيم العام واستشارتنا مع اللجنة المعنية لذلك من جانبنا العالي بالله تعالى بأن عينا مدرسين من جميع طبقات علمائها للقيام بالتدريس على كيفية ناجحة بحول الله وقوته وتصلك قائمة بأسماء المعينين لذلك لتخبرهم بما ذكر وقد أمرنا بتنفيذ شطر الرواتب من أول المحرم الآتي ولأء الموافق بينه العجمي سنة ١٩٣٠ إلى تمام سبعة أشهر ثم بعد ذلك يتمم لكل راتبه، أما كيفية التدريس والنظام في الأوقات فعند قفول جانبنا السعيد من وجهتنا المباركة يوافقكم ذلك؛ أما الآن فيبقى التدريس على حاله، وقد عينا لمراقبة التدريس الطالب العربي الحريشي ويعلم الله تعالى أن قصدنا هو نشر العلم وبثه وإعانة تلك الطائفة المؤمنة على حمل الشريعة، وفق الله الجميع والسلام في ٢٦ حجة الحرام متمم عام ١٣٤٨، قد سجل هذا الكتاب الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزارة العدلية الشريفة في ٢٩ حجة الحرام متمم عام ١٣٤٨ موافق ٢٨ ماية سنة ١٩٣٠: محمد الرندة كان الله له، صح منه.

ونص القائمة المحال عليها أعلاه بعد الحمدلة:

بيان أسماء العلماء الذين عينوا بالقرويين للتدريس:

الطبقة الأولى

الفقيه مولاي عبد الله الفضيلي^(١)، الفقيه السيد الرضي السناني^(٢)، مولاي علي

(١) صار رئيس المجلس العلمي الآن.

(٢) قصي من النظام وانتقل للدار البيضاء وهو الآن يدرس بها على نفقة أهاليها.

الدرقاوي، الفقيه السيد محمد بن أحمد ابن الحاج، الفقيه السيد عبد الحي الكتاني^(١)،
الفقيه السيد أحمد الشامي، الفقيه السيد الحسين بن الوليد العراقي، الفقيه السيد
إدريس الوزاني.

الطبقة الثانية

الفقيه السيد إدريس المراكشي، الفقيه السيد محمد بن كبور ابن الحاج، الفقيه السيد
أبو الشتاء الصنهاجي، الفقيه السيد محمد ابن إبراهيم الدكالي، الفقيه السيد محمد
العلمي، الفقيه السيد العباس بناني، الفقيه السيد الطائع ابن الحاج، الفقيه السيد عبد
العزیز ابن الخياط، الفقيه السيد أحمد الشراذي، الفقيه السيد الحسن مزور، الفقيه
السيد العباس المسطاري، الفقيه السيد محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة.

الطبقة الثالثة

الفقيه السيد محمد بن عبد الرحمن العراقي، الفقيه السيد أحمد بن محمد القادري،
الفقيه السيد الحسن الزرهوني، الفقيه السيد محمد أشرفي، الفقيه السيد محمد بن
سليمان العلوي، الفقيه السيد عمر ابن سودة، الفقيه السيد الحسن بن عمر العلوي،
الفقيه السيد عبد العزيز العراقي، الفقيه السيد محمد بن إدريس الشامي، الفقيه السيد
الحسن بن التاودي ابن سودة، الفقيه السيد الطالب ابن سودة، الفقيه السيد الحاج عبد
القادر البردعي.

ونص الظهير الشريف في الأمر بامثال الضابط المسنون للقرويين ليكون قانون
أعمالها والإعلان بتأسيس المجلس الأعلى للقرويين بعد الحمدلة والطابع الكبير
بداخله: (محمد بن يوسف الله وليه مولاه، قاله خير حافظا وهو أرحم الراحمين):

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأعز أمره، وأطلع في سماء المعارف شمس»

المنيرة وبدرة، أننا بحول الله القوي المعين، المالك لأزمة الأمور في كل وقت وحين، اقتضى نظرنا الشريف تأسيس مجلس أعلى بأعتابنا الشريفة، يتألف أعضاؤه من أعيان دولتنا المتينة، تحت رئاسة وزيرنا الصدر الأعظم للنظر في تنظيم التعليم وتحسين طرقة بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره يطلق عليه اسم (المجلس الأعلى لنظام التعليم الإسلامي العام بالقرويين) وأسندنا له النظر في سن ضابط كفيل بتحسين حالة الكلية. المذكورة فيما يرجع لانتخاب العلماء المدرسين، وتعيين الفنون التي تدرس فيها، والتأليف التي يقرأ بها، والأوقات التي تلقى فيها الدروس، وما يتعلق بذلك صوتاً لكيانها وحفظاً لبهجتها ونضارتها، وحرصاً على دوام عمارتها، وتعظيماً لشأنها حتى تكون رياض العلوم بها ناضرة زاهرة، وبحارها متدفقة زاخرة، كما كانت عليه فيما مضى من العصور الغابرة، قياماً بما يجب من تعليم العلوم الشرعية الفاخرة، فتأمر العلماء والمتعلمين أن يمثلوا أمره ويعملوا بالضابط المسنون، ويسيروا على مقتضاه فيما يتعاطونه من العلوم والفنون، ولا يخرجوا عنه فيما قرره من المؤلفات والمتون، وما يلحق بذلك في جميع الشئون، وفقهم الله لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، وأعانهم على نشر العلم وإحياء معالم الدين، وأرشدهم لسلوك الصراط المستقيم والمستين، والسلام صدر به أمرنا المعتر بالله في عاشر ذي القعدة الحرام عام ١٣٤٩، قد سجل هذا الظهير الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزارة العدلية الشريفة في ١٢ قعدة عام تاريخه موافق فاتح إبريل سنة ١٩٣١: محمد الرندة كان الله له.

ونص الضابط المسنون:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول

أنه حيث كان من الواجب علينا السعي في المحافظة على التعليم الديني الذي بوجوده يمكن القيام بشعائر الدين الحنيف وتطبيق أصوله بأبالتنا الشريفة تنظم

جامعة القيروان حسبها يأتي:

الفصل الثاني

(في اقسام التعليم وفنونها)

ينقسم التعليم بالجامعة المذكورة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الابتدائي، والقسم الثانوي، والقسم النهائي.

فالقسم الابتدائي يحتوي على الفنون الآتية:

الصرف

والنحو

والتوحيد والفقه إلى آخر العبادات

والأدب

والحساب

والقسم الثانوي يشتمل الفنون الآتية:

الفقه وأصوله

والصرف والنحو

والبلاغة والأدب

والحساب والهندسة والتوقيت

والمنطق والتوحيد

ومبادئ الحديث

أما القسم النهائي فله قسمان:

يشتمل القسم الأول على العلوم الآتية:

الفقه

وأصول الفقه

والحديث

والتفسير

ويشتمل القسم الثاني على العلوم الآتية:

الأدب

وتاريخ أدب اللغة العربية

والتاريخ والجغرافيا

الفصل الثالث

(في المدرسين)

قد صادق جنابنا الشريف على ما قرره المجلس الأعلى بأعتابنا الشريفة من اختيار اثنين وثلاثين مدرسا من علماء القرويين للقيام بالدروس المذكورة وترتيبهم على الكيفية الآتية:

١٢ مدرسا للتعليم الابتدائي

١٢ مدرسا للتعليم الثانوي

٨ مدرسين للتعليم النهائي.

الفصل الرابع

(في رواتبهم)

أما المرتبات التي يتقاضاها المدرسون المنظمون، وقع تعيينها كما يأتي:

التعليم النهائي

الرتبة الأولى	٢٤٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثانية	٢١٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثالثة	١٨٠٠٠ فرنكا في السنة

التعليم الثانوي

الرتبة الأولى	٢١٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثانية	١٥٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثالثة	١٢٠٠٠ فرنكا في السنة

الفصل الخامس

(في المراقب)

أنشأ وظيف متفقد بالقرويين يلقب بمراقب الدروس، وله مرتب قدره عشرون ألف فرنك سنوية ويوجه بواسطة رئيس المجلس التحسيني للوزارة العدلية تقريراً آخر كل شهر يبين فيه حالة التدريس بالقرويين على وجه العموم كمواظبة المدرسين والطلبة ووقوف الجميع عند حد الضوابط العامة التي أسس عليها النظام الجديد وينبغي أن يوجه الرئيس ذلك التقرير إلى وزارة العدلية في ظرف ثمانية أيام على الأكثر مع بيان رأيه إن اقتضاه الحال.

الفصل السادس

(في أوقات الدراسة والعطلة)

تلقى الدروس في كامل أيام الأسبوع ما عدا يومي الخميس والجمعة وذلك مدة ثلاث ساعات لكل مدرس، وتعطى استراحة أسبوع بمناسبة الأعياد الإسلامية الثلاثة؛ وهي عيد النحر وعيد الفطر والمولد النبوي، كما تعطى استراحة خمسة عشر يومًا حين تقام نزهة سلطان الطلبة، وتعطل الدروس التنظيمية كامل شهر رمضان، ومدة أربعين يومًا في فصل السهائم أي من ٢٥ يولييه إلى ٣ شتبر، ولا تعطل الدروس فيما عدا ذلك إلا بإذن خاص من وزيرنا الصدر الأعظم بطلب من المجلس التحسيني بالقرويين.

الفصل السابع

(الامتحانات)

في آخر كل سنة دراسية يقع امتحان لطلبة القرويين يرتقي الناجحون فيه إلى طبقات أعلى من التي كانوا فيها أمّا تفاصيل الامتحانات فسيقع ضبطها بقرار من وزيرنا الأعظم في آخر السنة السادسة.

الفصل الثامن

(شهادة الامتحان الثانوية والنهائي والوظائف المخصصة لحاملها)

يقع امتحان لطلبة القسم الثانوي في آخر السنة السادسة حيث تنتهي مدة دراستهم وتعطى للناجحين فيه شهادة التعليم الثانوي بالقرويين ويمكن للمحصلين على تلك الشهادة أن يتولوا خطة العدالة والإمامة والخطابة والكتابة بمخزننا الشريف، كما يقع امتحان لطلبة القسم النهائي في آخر السنة الرابعة حيث تنتهي مدة دراستهم، ومن نجح منهم تعطى له شهاة التعليم النهائي بالقرويين، ويمكن لمن بيده الشهادة

المذكورة أن يتولى حطة القضاء أو التدريس بالقرويين.

الفصل التاسع

(ترشيح المدرسين)

إن المدرسين المنتظمين بالقرويين يتخبون من المدرسين المتطوعين الذين قاموا بالتدريس مدة عامين على الأقل بالمعهد المذكور، وذلك بطريق المناظرة بحيث أنه كلما شغرت خطة مدرس إلا وبادر رئيس المجلس التحسيني بالقرويين بنشر إعلام قبل إجراء المناظرة في عشرة أيام ليتمكن للمتطوعين أن يشاركوا في المناظرة.

تجرى الامتحانات أمام لجنة متركبة من العلماء المبيينين فيما يأتي:

رئيس المجلس التحسيني أو نائبه

أعضاء المجلس المذكور

مراقب الدروس

وأحد العلماء من المجلس الأعلى بالأعتاب الشريفة

وخمسة علماء من القسم النهائي

أما تفاصيل الامتحانات المذكورة فسيقع تعيينها بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم؛ وأما نتائج الامتحان فإنها تقرر بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم بعد أن يحضرها رئيس المجلس التحسيني.

الفصل العاشر

(في نواب المدرسين)

مهما يحصل للمدرس مانع يصده عن القيام بدروسه؛ فإنه يعلم بذلك حالا رئيس المجلس التحسيني بالقرويين ليتمكن للرئيس أن يعين بعد استشارة أعضاء مجلسه

متطوعاً يقوم بدروس من تغيب، ويستحق النائب ربع مرتب المنوب عنه إن كان التخلّف لمرض؛ وفيما عدا ذلك يقبض النائب نصف راتب المنوب عنه.

وإذا فرغ وظيف بسبب وفاة مدرس فإن النائب يستحق نصف الراتب إلى أن يتعين عوضه نهائياً.

الفصل الحادي عشر

إن ظهيرنا الشريف هذا غير نهائي وسيغير أو يكمل بحسب ما تدعو إليه الحاجة والسلام في ١٠ حجة عام ١٣٥١ الموافق ٣١ مارس سنة ١٩٣٣، قد سجل هذا الظهير الشريف بالوزارة الكبرى بتاريخ ١٥ محرم عام ١٣٥٢ الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٣، صح منه.

ونص آخر في تأديب المدرسين والموظفين والطلبة المنظمين وغير المنظمين:

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره أننا اصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول

(في تأديب المدرسين والموظفين الدينيين)

كل مدرس أو موظف بمسجد القرويين أو بمعهد من المعاهد العلمية المغربية يشتغل داخل المسجد من المساجد أو زاوية من الزوايا أو خارجاً عنها بإلقاء دروس أو خطب أو تحرير مقالات أو توزيع أوراق أو منشورات من شأنها أن تهيج أفكار الطلبة أو تلهيهم عن التعلم أو تشوش الفكر العام أو تمس بحرمة المساجد وبوقار العلم يعرض على مجلس تأديبي يمكنه أن يصدر عليه إحدى العقوبات الآتية:

أولاً: الإنذار.

ثانياً: تثقيف مرتبه لمدة لا تتجاوز نصف شهر.

ثالثاً: تثقيفه عن وظيفه مع إسقاط مرتبه لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر.

رابعاً: تنقيص مرتبه.

خامساً: إسقاطه من مرتبه إلى أسفل منها.

سادساً: عزله.

الفصل الثاني

(في تأديب الطلبة)

كل طالب مقيد بزمام طلبة القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية يصدر منه ما ذكر في الفصل الأول من المخالفات سواء كان ذلك داخل مسجد القرويين أو غيره من المساجد أو الزوايا أو خارجاً عنها أو ينخرط في حزب من الأحزاب السياسية يعرض على المجلس التأديبي وتمكن معاقبته بإحدى العقوبات الآتية:

أولاً: الإنذار.

ثانياً: منعه من الدخول في أي امتحان من الامتحانات عامًا كاملاً.

ثالثاً: إخراجه من القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية لمدة لا تتجاوز ستين.

رابعاً: إسقاطه إسقاطاً نهائياً من زمام الطلبة.

الفصل الثالث

كل عالم من علماء القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية الغير المنظمين في

سلك العلماء المدرسين أو الموظفين تصدر منه إحدى المخالفات المبينة في الفصلين السابقين يمنع من حقوقه العلمية ولا يمكن توظيفه في وظيف من الوظائف الدينية أو العلمية في كل المعاهد العلمية المغربية لمدة يحددها المجلس التأديبي بحسب الجريمة.

الفصل الرابع

ويعاقب بمثل العقاب أعلاه كل مدرس أو ملحق به أو طالب علم يعين غيره على المخالفات المذكورة أعلاه.

الفصل الخامس

كل شخص غير المبينين في الفصول السابقة يشتغل داخل مسجد القرويين أو غيره من المساجد أو المعاهد العلمية المغربية أو الزوايا باللقاء دروس أو خطب أو محاضرات تمس بالسياسة أو يقوم بتوزيع أوراق ومنشورات سياسية يتعين على القائمين بشئون تلك المساجد أو المعاهد أن يخرجوه منها فوراً وإن لم يستطيعوا ذلك بأنفسهم فلهم أن يستعينوا بالقوة المخزنية ويمكن بعد ذلك أن يحاكم بحسب ما تقتضيه القوانين الجارية.

الفصل السادس

(في مجلس التأديب)

أمّا المجلس التأديبي الذي له النظر في مراقبة من ذكر في الفصول السابقة فهو المجلس التحسيني بالقرويين الذي يضاف إليه ثلاثة من علماء القرويين ومراقب التدريس في كل ما يرجع لعاصمتنا الفاسية؛ وأما في غيرها من مدن أياالتنا الشريفة فيتركب المجلس التأديبي من القاضي وثلاثة من العلماء.

الفصل السابع

(في تعيين أعضاء المجلس)

أما العلماء المضافون للمجلس التحسيني بالقرويين لعاصمتنا القاسية وللقاضي غيرها من مدن أباالتنا الشريفة فيعينون بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم لمدة عامين.

الفصل الثامن

(في استئناف أحكامه)

يمكن للمدرسين والموظفين وغيرهم من مطلق العلماء أن يستأنفوا أحكام المجلس التأديبي إلى المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية بأعتابنا الشريفة فيما يرجع للأحكام الأربعة الأخيرة المذكورة في الفصل الأول من هذا الظهير الشريف، كما يمكن ذلك للطلبة فيما يرجع للإسقاط النهائي، والسلام وحرر بالرباط في ١٥ محرم عام ١٣٢٥ الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٣.

وواعد أيد الله أوامره ووعد الملوك ملك الوعود، وتحقيق إنجازاه في دائرة المتحتم مبدود، بالحسنى والزيادة، لمن أحسن الطلب وأجاد الإفادة، فنهض العالم بأعباء التعليم وقد احتزم بحزام الحزم، وامتطى صهوة العزم، ونفذت أشعة نشاطه إلى نفوس الطلبة فتكهربت أسلاكها، واستنارت أحلاكها، واستدارت أفلاكها، وسبّحت أملاكها، وسبّحت في بحار العلم الصحيح أسماكها، وتسامى عن تناول الأخلاق السافلة سماكها، وبذلك أصبح شمل الكلية مجموعا، وعلم العلم بها بين الطلبة مرفوعا، وعملهم بالجد والاجتهاد مشفوعا، وأملهم بدافع الإخلاص إلى تحقيق النية مدفوعا، وأي حسنة تضاهي هذه الحسنة في الدين، أو توازي هذه الخصلة الجامعة لأنواع الشرف المكين، الكفيلة بالتمكن من كل ما فيه صلاح وتمكين، لقد دبت والله روح النهضة العلمية في هذا المجتمع المغربي حتى نفص العالم عن أعطافه

غبار الكسل والخمول، وأصبح مشغوقاً بالكد والعمل لتحقيق المأمول.

هذا وإننا لا نرتاب في أن همة مولانا الفعالة بأمر الله وعناية رجال دولته المخلصين، متعلقة جد التعلق باستئناف النظر فيها رتب من الكتب المقررة المقررة، وتقديم الأصلح منها على الصالح، وتبديل النافع منها بالأنفع، ووضع الأفيد منها بين يدي الطالب موضع المفيد، وإعطاء كل من الأساتيد ما له قدرة على تدريسه من الفنون التي تخصص فيها واختص بها، فلا يكلف أستاذ بتعاطي ما لا يحسنه، أو يصعب عليه تعاطيه ولا يستحسنه، مع وجوب مراعاة ما يقتضيه الامتحان السنوي من عدم المحابة وإعطاء القوس باريها، وإجراء المياه ضمن مجاريها، وما ذلك على إنصافهم وإخلاصهم لدينهم ووطنهم وأبناء ملتهم بعزیز، ولا سيما وذلك من أعظم دواعي احترام الأستاذ وتعظيمه في أعين التلاميذ والأخذين، وتهافتهم على حلقات دروسه بكل ارتياح، واطمئنان ونشاط الأمر الذي عليه مدار النجاح والفلاح، وتحقيق الإصلاح والصلاح، فإن العالم إذا أسند إليه تدريس ما لم يحيط به خبراً كان ذلك أدعى إلى تحقير الطالب لشأنه ورغبته عن حضور درسه، وديب الكسل والخمول إلى نفسه، وتضليله لأبناء جنسه، وضياع يومه وغده وأمه إلى أن يدرج في رسمه، والحال أن هذا الزمان زمن تقدم وطموح، لا زمن تأخر وجوح، على أن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، ومن الضروري لدينا أن لمولانا أيد الله تمام الرغبة في تأليف القلوب وتوحيد الأفكار على ما تحصل به سعادة أمته، والعروج بها إلى أوج الرقي وقمته، وبقيتنا أن أول خطوة خطاها في هذا السبيل كانت في أرقى درجة وصل إليها أسلافه الكرام من هذا القبيل:

قل للذين تكلفوا في التقى	وتخيروا للدرس ألف مجلد
لا تحسبوا كحمل العيون بحيلة	إن المهام لم تكن حمل بالاثمهد

ولا غرو أن يدخر لبعض المتأخرين، ما عسر إدراكه على كثير من المتقدمين، فإن

دائرة الفضل أوسع، وكرم الله يضيق عنه كل متسع، فقد تأتى بوجود مولانا وجوده في زمانه، ما لم يتيسر للملك قبل في أوانه.

حسن التفات لتدارك ما فات

غير بعيد ولا بدع على مجلس وزراء مولانا الأعلى أن يلتفت بنوع خاص إلى تحقيق هذا الطلب، وإبرازه للعيان في ثوب قشيب بأدنى سبب، فإن بطانة الخير، لا يعسر عليها تسير هذا السير، في الزمن اليسير الوجيز، وما ذلك على مريدي الإصلاح بعزير.

رجوع وانعطاف

لما رأى مولانا سده الله ما ألمَّ برئيس المجلس العلمي أبي العباس أحمد ابن الجيلاني من الألم المزمن الذي حال بينه وبين القيام بأشغاله المنوطة به وكاد النظام أن يختل، وأوشكت العرى أن تنحل، أسند رئاسة المجلس العلمي إلى شيخنا ابن عمنا أبي محمد عبد الله بن إدريس الفضيلي أنجح الله بوجود مولانا الإمام المساعي على يده حتى يتمتع الفكر العام بالاستمداد من مدده.

وقد فتح دامت عزته باب الامتحان على مصراعيه برباط الفتح لسائر طبقات الطلبة بعموم المغرب الأقصى «ما عدا طلبة القرويين فإن امتحانهم لا يكون إلا بالقرويين» ويكون الامتحان لغيرهم بالبلاط الملكي تحت رئاسة وزير العدلية الشريفة ونجز العمل بذلك فعلا في هذه السنة ١٣٥٦ وكان الشروع فيه يوم الإثنين عاشر جمادى الأولى ١٣٥٦ موافق ١٩ ينيه سنة ١٩٣٧ وتم العمل يوم الأربعاء ١٢ من الشهر عشية، ولا ريب أن هذا مما ينشط الطالب ويبعث حركة علمية ذات أهمية في شباب الشعب كله ولا سيما من حالت بينه وبين الرحلة للتلقي بالقرويين الظروف الحاضرة وكثير ما هم، وقصر شهادة العالمية على المتخرج من القرويين حيف على

العلم والعلماء؛ إذ كثير من أئمة العلم والأدب ونقاده بالمغرب لم يتخرج من القرويين ولا عرف فاسًا لا قديمًا ولا حديثًا، وكم من عالم لم يتخرج من فاس قد تخرج عليه العدد العديد من الفاسين وهذا مما لا أخال أحدا من بني جلدتي اتصف بالإنصاف ينازعني فيه أو يتوهم أنه غرض من القرويين أو إنكار لفضيلته.

ومن آثاره بفاس

تنظيم خزانة القرويين الفاخرة

لقد أصدر مولانا أيده الله أمره المطاع بتنظيم الخزانة القروية تنظيمًا جديدًا وإنقاذها من فتك الأرضة بما أبقته اليد العادية من الكتب العالية ذات القيم الغالية التي قضت على نفائسها العارية، حتى أصبحت الخزانة من كثير مما يزينها عارية، بنهبها وإتلافها في السر والعلانية، فشيدت البناية المشتملة على بيوت ثلاثة زيادة على الخزانة الكبرى القديمة، أحدها خصص لوضع الكتب المطبوعة على اختلاف أنواعها، وثانيها لوضع المخطوطات الصغيرة الحجم، وثالثها لحفظ الأدوات والآلات اللازمة للخزانة، ووسعت قاعة المطالعة، وأصلحت قبة الخزانة الكبرى القديمة إذ كان الخراب استعمرها أعوامًا وأحدث باب بخربة الخرازين من السييطريين لعموم زوار الخزانة عن اختلاف مللهم ونحلهم ليعم النفع بما فيها من النفائس والذخائر النادرة الوجود وأسست ميسرة لخصوص القيمين بها والمطالعين.

ولقد جرى مولانا على سنن أسلافه في تحييس الكتب المفيدة عليها، وما حبسه شرحا الإمامين الأبي والسنوسي على الإمام مسلم والبحر المحيط تفسيرا الشيخ أبي حيان وما معه والإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر العسقلاني مع الاستيعاب لابن عبد البر وشرحا الإمامين الخطاب والمواق على المختصر الخليلي وهذا نص التحييس:

«محمد بن يوسف

الحمد لله، حبس مولانا الإمام ظل الله على الأنام، السلطان المحفوف بالنصر والتأييد المؤبد، أبو عبد الله سيدي محمد ابن السلطان المقدس مولانا يوسف ابن السلطان المقدس مولانا الحسن ابن موالينا الخلفاء الراشدين، الأئمة الهداة المهتدين، الشرفاء السادات العلويين، أيد الله للإسلام شريف دولتهم، وأثار جهات البسيطة بأنوار معدلتهم، هذا الكتاب المسمى مواهب الجليل على مختصر خليل المشتمل على خمسة أجزاء على خزانة كلية القرويين التي إحيّاها من شريف آثاره، وتنظيمها من أجل أعماله، ليتفجع به طلبة العلم الشريف تحببسا مؤبدا، ووفقا مخلدا، قصد بذلك - رضي الله عنه - وجه الله العظيم، والتماس الثواب الجسيم، وبسط أيده الله يد قيم خزانة القرويين على حوزة فحاز أربع نسخ منه ووضع خط يده العزيزة أعلاه مصححا له في عشرين ربيع الأول النبوي عام خمسين وثلاثمائة وألف ١٣٥٠.

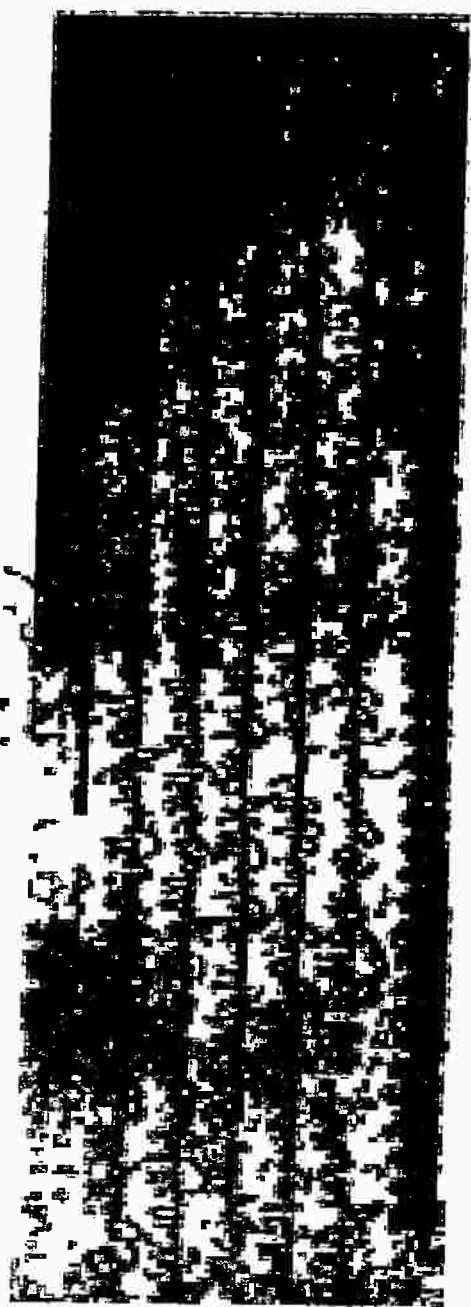
وهو مكتوب على أول ورقة منه كما كتب حبس غيره من الكتب القيمة المشار لها المحبسة على خزانة الكلية المذكورة.

وكما حبس على القرويين، كذلك حبس مصاحف كريمة من ماله الخاص على غيره من المساجد العظام كجامعه الفخم بالدار البيضاء وجامع أهل فاس بالرباط الذي يصلي فيه الجمعة وجامع الأندلس بفاس وجامع تازا.

وقد سار مولانا الإمام في تحببب الكتب على سنن أسلافه الكرام فتلك عاداتهم حتى على النساء وقفت على كتب عليها تحببب عليهن ويخزانتني مصحف كريم حبسه السلطان المولى علي بن إسماعيل على أمه لتتعبد بالتلاوة فيه كما أن النساء منهن حبسن كثيرا من قيم الكتب، فمن ذلك ما حبسته في العهد الأخير الشريفة الجليلة السيدة فاطمة بنت السلطان المولى الحسن «عمة جلالة مولانا المؤيد» وزوج قاضي

مراكش الشهير مولاي مصطفى العلوي فقد حبست كتباً عديدة قيمة نادرة على خزانة القرويين شكر الله سعيها وأجزل ثوابها ونص التحيس المكتوب على أحد تلك الكتب:

«الحمد لله، لما أن كانت الشريفة الجليلة عمّة مولانا المنصور بالله حبست كتاب علمية على خزانة القرويين وعددها مائتا جزءً بالتثنية وثلاثة وسبعون جزءاً لأجل الانتفاع بها ووجهتها الوزارة الوقفية أدام الله عزها لناظر القرويين حينه الشيف الأجل سيدي الحسين بن ثابت وأمرته بالكتب على كل جزء منها تحبسه على الخزانة المذكورة عدلياً ويدفعها للقيم بالخزانة المذكورة بعد الإشهاد عليه، وبالإطلاع على كتاب الوزارة المذكورة عدد ٤٣١٣٣ الوارد صحبة ما ذكر بشهد حينئذ شهيداه أمنهما الله بمنه بأن هذا الكتاب وهو كتاب النقطة لسيدى عبد الله الغزواني حبس على الخزانة المذكورة لانتفاع الطلبة به من تحبب الشريفة المذكورة شكر الله سعيها وأجزل ثوابها بمنه، فمن وقف على الكتاب الوزيري المذكور قيد به شهادته وفي ١٦ صفر عام ١٣٥٣: جعفر الصقلي الحسن العلوي».



مجلس السلطان سيدي محمد بن يوسف لكتاب مواهب الجلال

على خزائن جامع القرويين ، وطباعة كتبه طبع

١٦٨

ومن أهم ما في تلك الكتب التي حبستها نسخة من مختصر أب مصعب الزهري أحمد بن أبي بكر^(١) رواية أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد ابن عثمان المدني كتب في شعبان من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وعليه سماعات ثلاثة ومقابلات وهو بخط حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين الأموي بالأندلس وهو بقسم ٤٠ من خزانة القرويين تحت عدد ٨٧٤.

وقد زار جنابه العالي هذه الخزانة مرات أولها في رابع صفر عام تسعة وأربعين وثلاثمائة وألف وثنانيتها في خامس وعشري محرم عام خمسين وثلاثمائة وألف ويحت الكتب وقلب الدفاتر واطلع على البرامج المتخذة لها قديما وحديثا ودخل بيت المطالعة وغرفة الحرم التي اكتشف فيها كنوزًا ثمينة نادرة الوجود في المشارق والمغارب وفحص بتدقيق واستيعاب وحض القيم على الجد والاجتهاد في موالات العمل والأخذ بالحزم في صيانة الكتب وضبطها واستخراج كنوزها الثمينة من طيات العدم وإبرازها إلى الوجود.

ولم يزل أدام الله وجوده وجوده وعزه وإجلاله يحض بكل مناسبة على اقتناء العلم الصحيح والورود من مناهله الصافية ولم يأل جهدا في حيطة سياج العلم وذويه من معلمين ومتعلمين وما فتئ يصرح بأن الاجتهاد في تحصيل العلم والمعارف هو المجد الحقيقي وأن قيمة الإنسان ما يحسنه وأنه لا يمكن الوصول للغاية النبيلة إلا بالعلم ويرغب في حفظ القرآن والمحافظة عليه وعلى الثقافة الإسلامية الصحيحة المرتكزة على أسس اللغة العربية والدين القويم ويغري على الدءوب على ذلك والجد

(١) من ذرية عبد الرحمن بن عوف، تولى قضاء الكوفة والمدينة المنورة وبها توفي سنة ٢٤٢ أو في التي قبلها. روى عن مالك موطأه وتفقه بأصحابه المغيرة وابن دينار وروى عنه الستة لكن النسائي بواسطة، ذكره الحرشي في خلاصة التذهيب وابن فرحون في الديباج وقال: وله مختصر في قول مالك المشهور كذا في المدارك هـ.

والاجتهاد في تحصيله بكل وسيلة وينفر من الجهل والخمول والإخلاد إلى أرض الراحة والكسل والتدهور والتقهقر كان الله له وليا ونصيرا ومعينا وظهيرا.

ومن آثاره بفاس أيضا تجديد القبة الكبرى بجامع القرويين المسامطة لقبة المحراب من الصف الأول إلى الثريا الكبرى وإعادة بناء مقصورة الخطيب والإمام الراتب به وميضاتها، وإصلاح مسجد الزليج بحومة رحبة التبن الواقعة قرب قنطرة الرصيف، ومسجد حومة رأس الجان، ومسجد ابن البياض، وإجراء الإصلاح بسائر مدارس فاس وإحداث مدارس لتعليم اللغتين العربية والفرنسية، وتنوير بيوت مدرستي العطارين والمصباحية وغيرهما بالضوء الكهربائي وتجديد مدرسة المهندسين التي بمشور الدكاكين بعد أن كادت تصير أطلالا بالية وردها لشبابها.

وتأسيس مدرسة صناعية ذات أهمية كبرى وفائدة عظيمة بباب سيدي مجبر وجلب ما يتوقف عليه فيها من أدوات التعليم العملي وقد كان سموه زار هذه المدرسة قبل لما كانت بهري باب أبي الجنود ولما استعرض أمام جنابه الأسمى ما بأقسامها من الأدوات الفنية والأساتذ القيمين بكل قسم لاحظ أيد الله تأييده خلوها من أستاذ التعليم العربي والتفت لبعض حاشيته الكريمة مستفهما عن السبب وذلك مما زاد أمته المغربية إغراقا في محبته وتيقنا بسعيه في صلاحهم.

وتأسيس محل لمزاولة ناظر المسجد الجامع بفاس الجديد أشغاله الحبيسة، ومدرسة ابتدائية بحومة الدوح على مقربة من سيدي الخياط، وإصلاح مسجد حومة السياج ومسجد درب أبي السعود، وتجديد جامع درب الشيخ وجامع فوارة وجامع مولاي عمر ومسجد العبادسة وجامع زقاق الطالعة مع ميضاته، وفتح زاوية الشيخ ماء العينين التي بدرب السراج وترتيب الإمام للصلوات الخمس والمؤذن بها، وإصلاح المارستان وتنظيمه على أبداع طرز، وبناء بيوت به للمغتوهين لكل واحد منهم بيت يخصه، وتجديد بناية للضعفاء والمساكين بجرواره تجديدا كفيلا بأسباب الراحة

لأولئك البؤساء، طبق ما تقتضيه الأنظمة العصرية، وإصلاح مسجد جزاء ابن عامر و«الجامع المزجلة» بالسياح، وجامع سيدي التالي، ومسجد الحدادين بالنخالين، وجامع النارثجة بالبليدة، ومسجد المصالي قرب باب عجيسة، ومسجد القفازين بالجوطية، وتجديد مسجد بتخريشت من حومة العيون، وتجديد ميضأة قصبه الأنوار، وإصلاح جامع البيضاء بفاس المرينية والبيضة والسقاية العمومية خارجه وتجديد منارته، وإصلاح المدرسة الشهيرة بالعنانية، الواقعة أول شارع الطالعة الكبرى إصلاحا متقنا مع المحافظة التامة على نقشها الأثري البديع واختيار الفنانين الماهرين للعمل فيها فعاتت بهجتها القديمة لشبابها، إصلاح مساجد زقاق الحجر بل منها ما أعيد بناؤه من جديد، وإصلاح جامع لبستيونية الواقعة عند أول شارع الرصيف، وجامع الأبارين وتجديد بعض سقفه على ما كانت عليه من النقش الفائق، والتزيق الرائق، ومدرسة الصفارين ومدرسة الشراطين ومدرسة الأندلس وإدخال الماء الجديد إليها، ومساجد الكدان والصفاح والرميلة، وتجديد مسجد درب ابن عتيك من حومة الطالعة.

وتجديد مسجد الفخارين قرب باب الفتوح والزيادة في توسعته زيادة لها بال صار بها مسجداً حافلا، وقد نقش في الخشب بأحرف بارزة بأعلا بابيه ما لفظه: «أمر ببناء هذا المسجد مولانا السلطان سيدي محمد أيد الله أمره» وتجديد كثير من المساجد والكتاتيب غير ما ذكر.

ومن آثاره تأسيس الجسر الجديد بين حومتى المخفية والقلقلين، وتأسيس مستشفى للفحص والكشف عن أحوال المرضى جوار ضريح الشيخ أبي غالب السالف الذكر، وإنشاء المستشفى الاحتياطي للأمراض التي يخاف انتشار العدوى منها محذاء باب الفتوح، ونقل المحكمة الباشوية من دار أبي علي الواقعة بحومة المعادي إلى المحل الذي كان معداً قبل للمصرف المخزني المغربي الواقع بواد الفجالين، وضم

مكتب المتدوية المخزنية إليها، وإصلاح الدار التي كانت قبل معدة لسكنى قاضي عدوة القرويين وصارت اليوم محلا لمزاولة أشغال المجلس العلمي التحسيني، ونقل محكمة قاضي فاس العليا من جامع الحمراء إلى مشور الدكاكين، وإحداث أبواب بالمدينة منها باب الخوخة قرب باب الفتوح وباب قرب باب عجيسة وآخر بساحة ابن البغدادى من أبي الجنود وإتمام بناء المدرسة الثانوية، وإدخال الماء عين الشقف وغيرها وإجراؤه بأزقة البلدين البيضاء والإدرسية زيادة على مائي عين عمير والوادي القديمين وإجراؤه ببعض المساجد والزوايا والأضرحة والدور والحومات المفتقرة إليه قبل، كحومة أبي جيدة وجعل سقايات للسبيل، وتأسيس مركز لإيواء المتشردين وتطهير أجسامهم وتنظيف ثيابهم بباب الفتوح، وإصلاح الجزيرة الأهلية والسوق البلدي، وترصيف الطرق وتعبيد الأزقة والشوارع.

ومنها تجديد جامع الأندلس بها ورده إلى شبابه وتحييس مائة محصف عليه من خاص ماله يوم افتتاحه بعد انتهاء العمل في إصلاحه ليتعبد التالون بالتلاوة فيها، وكان افتتاحه بصلاته فيه صلاة الجمعة من صفر ١٣٥٦ أثناء زيارته لفاس تقبل الله عمل مولانا وأجزل بره ونصره نصرًا مؤزراً.

آثاره أبد الله نصره

بناحية فاس وما والاها

منها بناء مسجد العنصر برغوة، ومسجد مطحن بتاونت من مزيات، ومسجد اللبابة ببني راشد من بوعان من قبيلة بين زروال، ومسجد بني وليد.

آثاره أبهج الله عصره

بتازا ونواحيها

منها إصلاح مسجد الأندلس العتيق البهي البهيج المتسع الأكناف الرحب الفناء

إصلاحاً متقناً يعد تجديدًا.

ومنها تجديد الجامع الأعظم^(١) بها تجديدًا رجع به لريعان شبابه بعد أن كاد الخراب أن يصيره في خبر كان، وكان يوم افتتاح الجلالة له بعد انتهاء العمل فيه يومًا مشهودًا تجلت فيه أهبة الملك ومهابة الإسلام في أكبر المجالي، وأدى فيه الجناب المحمدي فريضة الظهر جماعة في احتفال واحتفاء ليس عليهما من مزيد، وحبس عليه مائة مصحف ليتعبد بالتلاوة فيها، وأمر أيده الله بإعمال رخامات فلكية لضبط الوقت فيه ومعرفتها بالظل الشمسي فنصبت واحدة بالصحن والباقي بسطح هذا المسجد.

وجدد مسجد الشيخ مصباح، ومسجد السوق، ومسجد الزاوية، ومسجد ميسور مع منارته من أوطاط الحاج بناحية تازا، ومسجد المعريجة بقبيلة رشيدة من ناحية تازا أيضًا.

آثاره أيده الله بوجدة ونواحيها

منها توسعة مسجدها الأعظم وإصلاحه إصلاحًا بلغ الغاية في الإتقان وبناء مدرسة للطلبة بإزائه «عوضًا عن المدرسة القديمة التي أضيفت للمسجد توسعة له» بها نحو العشرين بيتًا ما بين علوية وسفلية منمقة البناء، مخرمة السقوف، مزججة الأرض بأرفع الزليج منورة بالكهرباء وبها ميسأة نظيفة وأنابيب تجري فيها المياه ومواضع للوضوء ومسجد للصلاة وتعاطي الدروس، وكان افتتاحها بحضور الولاة وقضاة الناحية بعيد افتتاح الجامع المحمدي البيضاوي في سنة ١٣٥٥.

(١) قال في الاستقصا في ترجمة السلطان يوسف بن عبد الحق المريني: إنه في سنة ٦٩٣ فرغ من بناء جامع تازا وعلمت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطارا وعدد كتوسها خمسمائة كأس وأربعة عشر كاسا وأنفق السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبيا.

ومنها تأسيس المحكمة الشرعية، وتأسيس ميضأة عمومية، وتجديد دار الإمارة وإدارة الأحباس وعدة أضرحة للصالحين ومسجد بركان من ناحية وجدة ومسجد كرسيف.

ومنها تدشينه بنفسه لخط السكة الحديدية العريضة الذهبية من فاس لوجدة المرتبط مع الجزائر في مهرجان عظيم لم يتقدم نظيره أبدى فيه الولاية والسكان احتفاء لا مزيد عليه على اختلافهم من مغاربة ونزلاء جزائريين وأوربيين، وكان ذلك أوائل سنة ١٣٥٢.

آثاره سرمد الله عزه بمكناسة الزيتون

منها تأسيس المدرسة الصناعية ذات الأهمية الكبرى والجدوى العظيمة، المنشأة خارج باب زين العابدين أحد أبواب مدينة مكناس، وتجديد منارة مسجد باب مراح وبنائه من أساسه بالحجر والأجور بناء متقنا مع شدة المحافظة على شكله القديم حتى أنه يخيل لمن عرفه قديما ولم يعلم بتجديده أنه هو لم يمس.

ومنها إعادة سقف المباح الجنوبي بالمشور الإمامي خارج باب قصر المخشة السلطاني من جديد على الهيئة التي كان عليها، وإصلاح صهريج السواني ورده لبهجته وشبابه بعد أن عشش الخراب فيه وباض وفرخ أعواما.

ومنها تجديد الحمام الجديد وفرش أرضه بصافي المرمر الأبيض والأسود وترصيع بعض جدرانه بالزليج الملون، وتجديد حمام جامع الزيتونة والزيادة في توسعته وفرش أرضه بالمرمر الصافي البديع، وإصلاح حمام المولى عبد الله حمد الولي الأشهر إصلاحا متقنا رده لشبابه.

ومنها تجديد حمام سيدي ملوك، وتجديد حمام تزيمي الكبرى ومسجدها، وتجديد حمام السيد عمرو بو عوادة، وتجديد مسجد براكه، وتجديد مسجد حومة الصباغين،

وتجديد مسجد حومة التوتة وإعادة بناء منارته، وتجديد مسجد مولاي يحيى، وتجديد مسجد حومة بين العراسي بدرب الفشار، وتجديد جامع الزرقاء، وتجديد مسجد بريمة وإنشاء حمام بها، وتجديد مسجد سوق السرايريين، وتجديد مسجد الشيخ قاسم البندوري بطريق سيدي موسى من حومة التوتة بعد أن لعب الخراب فيه أدواراً أعواماً كثيرة، وإصلاح مسجد الشيخ أحمد ابن خضراء الولي الأشهر وتجديد ميضأته، وتجديد مسجد فرن النواله، وتجديد مسدد جراوة من حومة الجبابرة، وإصلاح حمام مسجد الأروى، وإصلاح مسجد حومة بني محمد، وتجديد مسجد باب ابن القاري الداخلي بعد أن استعمره الخراب أعواماً كثيرة.

ومن ذلك إصلاح ما كان مفتقراً للإصلاح بجامع القصبة الذي تؤدي فيه الجلالة السلطانية كآبائها وجدودها الملوك المتقين فريضة الجمعة عندما يكونون بالعاصمة الإسماعيلية المكناسية وتنويره بالضوء الكهربائي، وإحداث باب ثالث به روماً لتخفيف وطأة شدة الازدحام الذي يقع عند الخروج منه بعد الفراغ من الصلاة، وإننا لنترجو ونأمل إصلاح ميضأته ومائه إصلاحاً لائقاً بوجود مولانا وحسن رعايته وعنايته.

ومنها تجديد ما دعت الضرورة لتجديده من القنوات الموصلة الماء لذلك المسجد الجامع، وتجديد المسجد المجاور للزاوية التجانية، وتجديد مسجد زقاق القرموني، وتجديد مسجد الكرمة بحومة القنوط، وتجديد جامع النجارين العتيق، وتجديد مسجد الكرمة من حومة زنقة الأنوار، وتجديد مسجد سيدي البيوري، وتجديد مسجد قصبة تولال ومنارته وتصويره مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة وإنشاء ميضأة به، وتجديد مسجد الحاج القدوة وإصلاح ميضأته، وتجديد مسجد وسعة الشيخ أحمد ابن خضراء، وتجديد سقف مسجد الشافية، وتجديد جامع الحجاج، وكذا العلوي حذوه المحمول عليه، وتجديد المكتب المحمول على الساباط الواقع بين المسجد

الأعظم والقيسارية (سوق البز)، وميضاة المسجد الأعظم المقابلة لبابه الموالي لسوق الخضارين، وتجديد مسجد العبادسة المعروف اليوم بمسجد الطبالين وقد كان خراباً، وتجديد المكتب المحمول على الساباط الكائن بزقاق الحمام الجديد بعد أن أنشأ الخراب فيه أظفاره وصيره في خبر كان مدة أعوام.

وكذلك إصلاح مسجد باب عيسى وميضاة إصلاحا متقنا وتسقيف ما كان مفتقرا للسقف منه، ومسجد درب السلاوي ومكتب تعليم الصبيان حذوه، وإصلاح ضريح جد الأملاك وفخر السلاطين الجد الأكبر مولاي إسماعيل برد الله ثراه أرضا وسقفا وجدران وتنويره بالكهرباء، وتأسيس مباح بمقبرته الجديدة بقي الزوار والمشييعين والتالين من المطر في إبانته وصولة الحر والقر، وإعادة جدارها المجاور لمكتب الناحية المكناسية سابقا بدرب حمام مولاي إسماعيل من أساسه، وتجديد سقاية السبيل خارج الضريح المذكور من جهة القبلة وإصلاح ميضاة إصلاحا متقنا، وإصلاح ميضاة باب الرايس الأشهر وتجديد سقايته، وبعد أن كاد الخراب يجعل الكل في خبر كان، وإصلاح ميضاة جامع الزيتونة، ومسجد السيد زروق من حومة الأخوخ وتجديد ميضاة واجراء الماء به، والمكتب المحمول على السقاية والساباط أمام ضريح المولى عبد القادر العلمي الشهير، ومسجد سيدي الضيفر حذو روضة الشيخ عبد الله الجزار، وتجديد سقاية السبيل الواقعة بساحة قبة الخياطين بين بابي ابن القاري الداخلي وعرصة البحراوي، وتجديد سقاية الهديم وترصيع جدارها بالفيسفاء، وتجديد ما اندثر من المدرسة العنانية طبق ما يرتضيه الفن الجميل، وإصلاح ميضاة سوق الخضارين، وتجديد مسجد ابن عزو مع ميضاة بنحومة السويقة، وتجديد سقف مباحت ثلاثة من المباحت الخمس التي بين بابي الوايس وقصر المدرسة السلطاني يمين الذهاب من الباب إلى القصر المذكورين.

وإنشاء صهريجين للسباحة بغرسة السلوي الشهيرة خارج باب أبي العمار أحد

أبواب مدينة مكناس قديماً، وإدخال ماء عين خروبة للمدينة الجديدة المحدثه بأرض حمية من مكناسة الزيتون.

وإجراء ماء عين تاكمة بسقايات السبيل بالمدينة العتيقة مكناسة أيضاً، وإدخاله لبعض دورها المفتقرة إليه، وذلك زيادة على ماء واديه القديم الذي كان أدخله إليها سيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل وحبس الفاضل عن كفاية دروه وقصوره وما أنعم به على بعض أعيان دولته، على المسجد الأعظم والحمامات وسقايات السبيل ولذلك لم يكن جريانه عاماً في جميع دور البلد، ومدقنات للوادي المضاف زيادة على أودية المدينة الإسماعيلية المحكمة البناء والإتقان، وإصلاح قصر المحنشة الفاخر وتجديد عدة أماكن به إصلاحاً وتجديداً متقنين، وتأسيس المجزرة خارج باب السبية أحد أبواب البلد على الطرز العصري، وتأسيس سوق بيع الخضر والبقول، وسوق بيع الزروع وعلى اختلاف أنواعها على النمط العصري، وإجراء الماء لمستشفى أبي عثمان سعيد المشتراي خارج باب وجه العروس، وتأسيس السجن المدني هنالك وعدة دور، وترصيف جل الشوارع وتأسيس عدة ميضات للعموم، وإحداث باب جديد باجدال يذهب منه القاصد لحديقة النعام من غير التواء، وتجديد سور المقبرة الكبرى خارج باب السبية حيث مدفن الشيخ عبد الله بن حمد والشيخ أحمد الحارثي والشيخ محمد ابن عيسى رضي الله عنهم، وبناء سورين للمقبرة المذكورة من حذاء باب المراض الذي يازاء باب السبية المذكورة يمين الخارج منه إلى باب ضريح الشيخ ابن عيسى المذكور أيضاً، وإصلاح المحكمة الشرعية إصلاحاً لائقاً لا يستهان به في الجملة.

وتأسيس القرية الحبسية بالمرس الإسماعيلي الأشهر، وتجديد مسجد الشاوية وتجديداً متقناً، أمد الله للإسلام والمسلمين في عمر مولانا الإمام وأيده وظفروه.

ومنها مقاومته عضال داء البدع، والقضاء على ما يصادم به الدين من كل مبتدع،

والضرب على أيدي الملبسين والمشعوذين الذين تتمشى حيلهم على بسطاء العامة وكثير ما هم باسم الدين، قياما من جانبه الشريف بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف، واهتماما من جلالته بإصلاح رعيته التي استرعاه الله تعالى إياها فنفذ أمره العالي بأسرع من لمح البصر، وبدأت عوامل التفريق والتضليل تنمحي رويدًا رويدًا حتى ظهر الحق على الباطل وانتصر، وبدأ الشعب المغربي يرى الفترة التي طرأت عليه من جراء ذلك بعين السخط والاستياء ويتشبع بروح الإصلاح، وتطمئن نفسه إلى اعتناق كل ما فيه خير وصلاح.

ومن أهم الأسباب التي حملت مولانا الإمام على هذا الإصلاح الذي أَرْضَى به الله والرسول وكافة الموحدين هو ما صار يجري بمكناسة الزيتون عاصمة ملك جدوده الأكرمين في عيد المولد النبوي من قيام الجهال والرعاع والأوباش بمهرجَان عظيم يتجلى فيه الجفاء وتبرز فيه الوحشية والهمجية وتختلط فيه النساء بالرجال، وتكون المقبرة الإسلامية الكبرى عطف الرحال، والقاذورات والأوساخ والأزبال، وإيقاد النيران في بطون القبور وإهانة كرامة الموتى واستعمال الطبول والمزامير والأبواق والشطح والرقص والردح والمهايطة، مع أن عيد المولد النبوي الأنور كان مظهر النور الذي أشرق على العالم ومصدر المدنية والدين الحق الذي ظهر أثره في كل إقليم، وعم الكرة الأرضية فضله العميم، فكان من الواجب أن تقام فيه الحفلات الدينية، والذكريات المحمدية، الخالية من كل شبهة، الحالية بذكر فضائل نبينا الحاملة على توحيد الجبهة، وإليك نصوص المكاتيب الصادرة عن الأمر العالي المحمدي أسمى الله مقداره لباشا مكناس في ذلك أولها بعد الحمدلة والصلاة:

«محبتنا الأعز الأرضي الباشا الأنجد السيد أحمد السعيد رعاك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير سعيدنا أيده الله، وبعد فقد وصل تشكي أهالي مكناس بما حل بمقبرتهم التي بها ضريح سيدي بنعيسى من تشويه زواره الذين يردون من البوادي

لزيارته في المولد النبوي وأن ذلك لا يحل شرعا ولا طبعاً من نصب الخيام والقياطين وربط البهائم بها وتعميرها بالرجيع والأرواث وإيقاد النار على قبور المسلمين بها من غير احترام للمقبرين بها ولا حياء من أهاليها، وأطلع شريف علم سيدنا أعزه الله بذلك فاستقبحه للغاية وعده من الامتهان والاحتقار بحرمة المسلمين، وأمر أيده الله ألا يعود الزوار للنزول بالمقبرة المذكورة، وأن تنبني بعد هذا المولد الحاضر بحول الله من باب المعراض طريق واصلة إلى باب ضريح سيدي ابن عيسى بقصد مرور الزائرين من غير أن يموج أحد منهم في مقابر المسلمين، وصدر الأمر الشريف للنظر السيد أحمد الصبيحي في شأنه وعين دام علاه قائد مشوره السعيد وقائد الرحي معه لحضور اجتماعك أنت والمحتسب والأمين الأجل السيد الحاج التهامي بناني والفقيه النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ونقيب أولاد سيدي بن عيسى واثنين من المجلس البلدي حتى تتذكروا في ذلك وتكونوا عوناً على تنفيذه كما أمر سيدنا أعزه الله وعلى المحبة والسلام ٧ ربيع النبوي عام ١٣٥٢ محمد المقرئ وفقه الله، صح من أصله.

هذا أول كتاب صدر من الجلالة المحمدية في موضوعه بواسطة وزيره الأكبر ولما ورد قائد المشور (بناصر بن عبد الرحمن السوسي) وقائد الرحي (عبد النبي بن العربي السوسي) متأبطين لهذا الكتاب أعلم الباشا من عين فيه للحضور وزاد عليهم قاضي المدينة (الفقيه السيد محمد بن أحمد السوسي) وخليفته (أعني الباشا) وهما السيد محمد بن المختار الفلاي والحاج محمد بن الجيلاني البخاري وبعدما اجتمع الجميع ناول الباشا القاضي الكتاب فقرأه على من حضر وأجاب الكل بالسمع والطاعة ودعا للجلالة المحمدية بمزيد النصر والتمكين، شاع ذلك النبأ في البلد فابتهج كل من في قلبه مثال حبة من إيمان، واستبشر حتى النساء والصبيان، ودعا الكل للجانب السلطاني بما يرجي من الله تعجيل قبوله.

ولما كان الغد خرج الباشا ورئيس بلدية مكناس ليعينا لمن يرد من الزوار لحضور

الموسم محلا لاثقا لنزولهم فوق الاختيار على فسيح قرب ضريح الشيخ الكامل أبي عبد الله محمد بن عيسى، وألزما من سارع للتخيم بالمقابر بالنهوض منها والتخيم بالمحل المعين وأوعدا من خالف الأمر العالي الصادر، وما كان عاشر الشهر المؤرخ به الكتاب حتى امتلأ ذلك البسيط المعين لنزول الواردين بالأخبية والخيام على نظام بديع أخذت من منظره البهيج صور ورسوم اقتناها عشاق المناظر والآثار والفن الجميل كذاكار.

وفي زوال اليوم الحادي عشر نادى في ذلك المخيم بعض شياطين الأنس بالرحيل من ذلك المحل والعودة إلى التخيم بالمقابر معلنا بأن ذلك عن الأمر العالي فما كان إلا كلمح البصر أو أقرب حتى امتلأت المقابر الإسلامية بالدواب الناطقة والناهقة والنابهة والصاهلة وعاد فرح أهل الدين ترحا وفرح من في قلبه مرض ومرح فقام وقعد لصدور ذلك الفعل الشنيع مراقب الناحية ورئيس البلدية وقسم المحافظة على الأمن العام وأمر خليفة الباشا في الحين بالخروج وإلزام الزائرين بالمكث في المحل المعين لنزولهم ثم اقتفوا أثره مع لفيف من العسكر لإرغام من تسارع للتخيم بالمقابر ولكن لما رأوا اختلاط الحابل بالنابل وكثرة الأخلاط والرعاع ظهر لهم أن الأصوب هو ألا يحركوا ساكنا في ذلك خوفا من صدور الفتنة التي هي أشد من القتل.

ولما بلغ ذلك علم الجلالة الشريفة أصدر أوامره العالية حالا للباشا مشافهة إذ كان ممن ورد للرباط من العمل لحضور العيد مع جلالته الكريمة بالبحث عن المنادي وإلقاء القبض عليه وتطهير الأعلام بحقيقة الواقع للجناب العالي ليجازي الفعال بما يستحقونه من التشديد في العقاب ردعا لأمثالهم.

ولما رجع الباشا لمحل مأموريته أجرى البحث في ذلك ولكن بكل أسى وأسف لم يقف للواقع على حقيقة فكتب للجلالة بأن مقدمات بحثه لم تنتج، ووجه أبناء الشيخ المذكور للحضرة السلطانية مع رسم يتضمن الأشهاد عليهم بعدم العود لما كان عليه

العیسایون من العمارۃ بالطبول والمزامیر وغیر ذلك فرفضت الجلالة اقتبالهم وأمرت بالکتب للباشا بأنه لم یصب فی توجیہهم للحضرة واستیناف أعمال البحت عمن نادى بالعود للمقابر ومنع بدع أتباع الشیخ بتاتا لا بضریحہ ولا بغیرہ هذا نصہ بعد الافتتاح:

«وبعد وصل کتابک بتوجیہک أولاد عیسی بنعیسی للملاقات بسیدنا فیما نسب إلیهم کما وصل کتابک أيضا بما شافہتهم بہ بعد رجوعک من الأعتاب الشریفة فی شأن عود الزوار إلی مقابر الأهالی بعدما نہوا عن ذلك وفق الصادر لك من أمر سیدنا أعزہ الله وأجابوا هم ومقدموا طوائف العیساییین بألا یعودوا إلی مثل ذلك ولا إلی عمارۃ بالطبل والبندیر والمزامیر بضریح سیدی بنعیسی وتبرءوا من العلم بمن نادى بعود الزوار إلی النزول بالمقابر حسبما بالرسم الذی وجهت وأطلعنا بذلك شریف علم سیدنا، فأجاب أعزہ الله عن ذلك بأنه ما کان من حقک أن توجه المذكورین لشریف أعتاب سیدنا، وأمر دام علاہ أن تعمل البحت الأكید الموصل للعلم ولا بد بمن نادى بالعود للمقابر، کما أمر دام علاہ أن تلزم العیساییین ومقدمی طوائفهم ألا یعودوا للعمارۃ بالطبول والبنادیر والمزامیر لا بضریح الشیخ ولا بغیرہ لأن ذلك من البدع المتفق علی إنکارها، ولتعجل عن الأمر الشریف فی الإزعاج لبناء الحائطین من المعارض إلی باب السید حسب الأمر الشریف الصادر بذلك للناظر هناکم والسلام فی ٢٥ ربيع النبوی ١٣٥٢: محمد المقری» صح من أصله.

ثم لما حل الجناب السلطانی بالقصر الأمامی من مکناس أمر بعقد جلسة لحسم مادة تلك البدع المحدثۃ حضرها نائب الجرال کودو حاکم الناحیة، ورئیس بلدیة مکناس م. بوکي وصدر الوزارة السید الحاج محمد المقری، والباشا السید أحمد بن عبد السلام السعیدی الطنجی وقرروا بعد مراجعات اجتثاث تلك البدع من أصلها.

ثم إن قدماء تلاميذ مدارس مکناس راموا إقامة مهرجان يوم العید النبوی وقرروا جعل أناشید بکلفون صبیان المكاتب بحفظها ویظلون يوم العید یطوفون بأزقة البلد

ينشدون تلك الأناشيد راكبين متون السيارات البخارية ومعهم المطربون في سيارة خاصة مغطاة بالزراي ومكحلة بالأزهار يغنون وينقرون آلات الطرب ويكون ختم مطافهم بضريح الشيخ الكامل مقلدين في ذلك ما يجري بطنجة يوم سابع عيد المولد كل عام في موسم السيد محمد الحاج بو عراقية من البدع التي لا تحل في دين، وقد غاب عن ذلك الشباب الناهض أن ما صمموا على فعله هو من باب غسل دم بدم وحسبوا بعدما نهوا عن ذلك أنهم يحسنون صنعا، ولما شاع عنهم ذلك وذاع حتى بلغ العلم الشريف أصدر أوامره العالية المطاعة للباشا بالضرب على أيديهم ومنعهم منعا كليا من كل ما يخالف المقرر ودونكم لفظ الصادر بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«وبعد فبناء على ما تقرر لك هنالك في الجلسة التي حضرها نائب الجنرال حاكما الناحية ورئيس البلدية في شأن موسم عيساوة قد بلغ الآن لشريف علم سيدنا أن بعض المغرضين يهثون خرق ذلك بإقامة مهرجان على ظهر الطرموييلات وذلك يعد محاولة لخرق الأوامر المقررة وعليه فعن الأمر الشريف أسماه الله امنع كل محاولة تخالف ما تقرر واضرب على يد من يريد خرقها، واتخذ لذلك كل الوسائل الموصلة لتنفيذه بالحرف طبق أمر مولانا المعتز بالله وعلى المحبة والسلام في ٢٢ صفر عام ١٣٥٣ محمد المقرري» صح من أصله.

ولم تقتصر الجلالة المحمدية في الأمر بحسم مادة البدع الضالة على مكناش بل عمته بسائر الأيالة كفاس ومراكش والرباط والدار البيضاء ما عدا زرهون فإن الأمر ازداد فيه تفاحشا هذه السنة ينجل وجه المروءة والدين وتعلل ولاته بأنهم لم يصدر لهم أمر بالمنع ولم يعلموا أن مراد مولانا الإمام محاربة كل بدعة وضلالة.

آثاره بنواحي مكناس

حفظه الله

وأسس مسجد قصيبة مُحّ وسعيد من آيت ورير وجعله مسجدا جامعاً تقام به الجمعة ولا ينقصه غير المنارة للأذان ولا ريب أن همة مولانا فعالة تعلي كل منار، وتشيد كل فخار.

وأسس مسجدا جامعاً بازرو زيادة على ما كان به من المساجد لضيقها بالمصلين.

آثاره دام علاه بزرهون

منها بناء المسجد اليزيدي بالزاوية الإدريسية، ومسجد أبي مروان عبد المالك ابن نخدة، ومسجد النواله، ومسجد الحجر، ومسجد الخفرة، وسقف المباح القبلي داخل الضريح الإدريسي، ومسجد النساء به، والمسجد الحسني، ومكتب لقراءة الصبيان القرآن العظيم، ومسجد ابن دينة، ومباحات ضريح أبي الخير راشد مولى المولى إدريس الأكبر، ومسجد السيدة يط، ومسجد ابن جيش، ومسجد السوق، وإصلاح مقصورة مسدد خبير، وتجديد المسجد الجامع به والزيادة فيه زيادة مهمة وترصيف أرضه بالزليج وإعادة بناء منارته من أساسها، وتأسيس مكتب نظارة الأحباس، وإنشاء سقاية عمومية أسفل بالسوق الداخلي، وإصلاح مجاري عين شانش، وإصلاح مجاري ماء الضريح الراشدي المذكور، وتأسيس مكتب البريد، وبناء مiazza للمسجد اليزيدي وحفر بير بها، وإصلاح الحمامات، وتوسعة فندق بيع الخضر الطرية وإعادة بنائه من جديد، وتجديد مسجد مدشر بني مرعاز، ومسجد مدشر بني جناد، ومسجد مدشر بني حراوة، وضريح السيد الأمين، ومسجد مدشر بني عمار، وضريح السيد العابد بالمدشر المذكور، ومسجد مدشر أولاد يوسف، ومسجد مدشر الخنادق، ومسجد مدشر العامة، ومسجد مدشر تالغزا، وتجديد مسجد مدشر بومندراة،

ومسجد القصبة بمدشر بني راشد، ومسجد مدشر كرمت إلى غير هذا وهو كثير.
آثاره أطال الله بقاءه برباط الفتح ونواحيه

منها بناء جامع سيدي الغندور يمين الداخل من باب الأحد وإحداث الجمعة فيه،
وتأسيس جامع القرية الحبسية بباب تامسنا ومكتب لتعليم القرآن بقربه، وحمام
هنالك على أبداع منوال وأحسن طرز، وإنشاء المكتبة الوطنية إزاء الجامع الكبير،
وتجديد ما يحتاج إلى التجديد من مراحيض المساجد والجوامع الحبسية تجديدًا ملائمًا
للطرز العصري وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح من ذلك، وإصلاح وترميم مسجد
لُبيرة الواقع بالعلو وبناء منارته.

وترميم جامع السنة الأفخم الأثري الضخم البناء، الرحب الفناء، وإصلاحه
إصلاحًا متقنًا وتفريشه برفيع الحصر وإنارته بالأضواء الكهربائية وإعادة ترتيب
الوظائف الدينية فيه بعد أن لعبت به أيدي الإهمال أدوارًا كاد أن يصبح بها ذلك الأثر
البديع الفذ في خبر كان، وكان ذلك بعد أن صلى فيه صاحب الترجمة سلطاننا المحبوب
المفدى أدام الله تأييده ونصره أول جمعة عقب عيد الفطر من سنة اثنين وخمسين
وثلاثمائة وألف وشاهد بعينه - لاحظته السعادة - ما لقيه ذلك المسجد العظيم الذي
هو من أجل وأجل آثار جده سميه أبي عبد الله السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد
الله مجدد فخر الدولة ومحبي مجدها ومتشلها من قدر هاوية الهوان بعد العزة والمنعة.

ومنها تجديد مسجد دنية، ومسجد مرينو والمكتب الذي فوقه وجعل مطهرة تحته،
ومسجد بلامينو ومسجد الزناقي، ومسجد قورية^(١) ومسجد حومة الجزاء، وتوسعة
مرافق مسجد أهل فاس الذي تؤدي فيه الجلالة المولوية فريضة الجمعة وإنشاء ميضأة
به خاصة زيادة على الميضأة العمومية وإنشاء مسجد للنساء به أيضا وتسقيف صحنه

(١) بقاف مضمومة فواو ساكنة بعدها راء ساكنة فياء مفتوحة ثم تاء.

بحيث بقي المصلين فيه من الشمس والمطر ولا يمنع الضوء أن يتفد للداخل بما جعل فيه من النوافذ الزجاجية، وإنشاء أربع خزائن ببلاطه الأول وملؤها بالمصاحف الكريمة المحبسة من جنبه العالي للتلاوة جماعة، وبناء مسجد للنساء إزاء جامع السلطان أبي الربيع سليمان، وترميم قنطرة وادي أبي رقرق التي تمر عليها السيارات وتداركها بالإصلاح بعد أن أنشب الخراب فيها أظفاره، وبناء قنطرة أخرى عليه للمارة على الأرجل والدواب والدرجات، وبناء مشور القصر الملوكي على أبداع طرز وأحدث اختراع أنيق، وتأسيس القصر البديع الخاص بسمو ولي عهده سمي جده مولاي الحسن إزاء قصر جلالته الكريمة وعين له من يقوم بتربيته وتهذيبه وتأديبه وتلقينه الدروس العربية والأفريقية كما يلزم وفي هذا القصر البهي الباهر قلت:

قصر تقاصرت القصور الفاخرة	عين أن تنال جلاله ومفاخره
أو أن يكون لها بديع جماله	لو أنها زهراؤهم أوزاهره
أزرى بمن سبقوا أين لفارس	أو للنجاشي مثله وأكاسره

ولما تم بناء هذا القصر في شوال عام ١٣٥٣، أقام به سيدنا المؤيد ختم دروسه الحديثة بحضور علماء العدوتين وولاتها ووجهائهما والوزراء وكتاب البلاط واستدعى حملة القرآن وصغار طلبة المدارس العصرية وقرر أبد الله نصره زيارة أولئك التلاميذ لفلذة كبده وثمره فؤاده كل يوم خميس لتناول المبردات والحلويات مع سموه في قصره لتمتين روابط الألفة واستحكام الود مع أبناء الرعية ونزع عرق الكبرياء والإعجاب بالنفس وهدس العزلة الذي تحيز إليه كثير من أبناء الملوك.

ومنها بناء الأروى المعد لربط الجياد الصافنات المختصة بالجلالة السلطانية وذلك على النسق الحديث؛ جعل لكل فرس اصطبلًا خاصًا به، وتأسيس محل خاص لعلف شياه تموين القصر، والبنية الضخمة المعدة لحفظ السيارات الملوكية، وآلات التنوير الكهربائي الخاصة بإنارة القصور السلطانية ومضافاتها، والدور المعدة لسكنى

القيمين بمباشرة الاشغال الراجعة لذلك، وإزالة ما كان بالفسيح أمام القصور المولوية العامرة من الأخصاص والأعشاش وتسوية أرض ذلك البسيط وتنظيفه وتحجيريه على الدخلاء.

ومن آثار جلالته التي خلدت في صفحات تاريخها ذكرها جميلا بأحرف ذهبية بارزة حضور جنبه العالي لسماع تلاوة القرآن الكريم من أفواه التالين له جماعة كل جمعة ومشاركته لهم في التلاوة بعدة مساجد بالرباط وغيره.

وزيارة جلالته للملجأ اليتامي بعاصمته الرباطية وتنازل جنبه الأعلى لبحث دفاثره وضوابطه بكل دقة وإمعان وسؤاله المكلف عن ميزانية السنة المنصرمة داخلا وخارجا، وبعد اطلاعه على ذلك وإحاطة علمه الشريف بتفاصيله وجد مدركا على الداخل نحو ٨٢٥١٤٠٢٥ فبحث دام علاه عن المدرك المذكور هل أدى أم لا؟ فأجيب بأنه أدي فقال: من أين؟ فأجاب الرئيس قائلا: من الاحتياطي المدخر ولاحظ -قارنت جلالته السعادة- أن ميزانية سنة ١٩٣٤ والميزان التقديري لسنة ٣٥ لم يصله، فأجاب الرئيس بأنه سيقدم لجلالته ولم يهمل زاد الله في حسه ومعناه غرفة من الغرف ولا مستودعا هناك حتى المطبخ وما يطبخ وخزين التموين وتبرع أعزه الله بفرنك ٥٠٠٠ وبعد وصوله للقصر العامر أمر الرئيس بتوجيه الخياطين لتفصيل الكسي: لليتامي ٧٥ وللمستخدمين ١٠ وصرح أعزه الله بأنه راقه ما شاهد من حسن النظام، وسر بذلك للغاية وأنه لم يكن في ظنه أن الملجأ على الهيئة التي شاهدها عليها وأثنت جلالته على المقيمين وشكرتهم على ما قاموا به من الخدمات الجلى وواعد هم بزيارة جنبه العالي للملجأ كل عام.

ثم أرسل ولي عهده بعد ذلك لزيارتهم وتوزيع الكسي عليهم ونذر نصره الله ذلك لله كل عام:

ومن أسماها وأسناها جلب الماء من الفوارات إلى العدوتين الرباط وسلا وإجراؤه إلى ثغر الدار البيضاء منها.

وتأسيس المجاز الضخم على وادي بهت بقبيلة زمور الشلح الممرور عليه للرباط نهاره وراءه للآتي من فاس ومكناس وما وراءهما.

وإنشاء سوق بيع الخضر البديع الشكل بالقنيطرة، وتجديد مسجدها الجامع والزيادة فيه.

وإنشاء مسجد قرية الرماني من قبيلة زعير ومنارة به وجعله مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة.

وتأسيس المسجد الجامع بالخميسات من قبيلة زمور الشلح ومنارته والمكتب القرآني بإزائه وتحييس أربعين مصحفاً على المسجد هنالك.

ومنها تأسيس جمعية الكشافة وتنازل جلالته لجعل ولي عهده رئيساً شرفياً عليها وقبوله تسميتها باسمه الحسن إجابة لطلب فرقة الكشافة وإسعافاً لرغبتها وتحييذاً لفعلها وتشجيعاً لها، وإليك نص الكتاب الوزيري الصادر عن الأمر العالي في الأذن بذلك:

«محبتنا الأعز الأَرْضِي رئيس جمعية الاتحاد الرياضي بالرباط وسلا السيد أحمد ابن غريط أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد؛ وصل كتابك رافعاً لمولانا أعزه الله ما طلبته فرقة الكشافة من الإنعام عليها بتعيين نجله البار مولاي الحسن رئيساً شرفياً لها وتسميتها بالفرقة الحسينية تيامناً باسمه الميمون وبعد إنهاء ذلك لمولانا أعزه الله أنعم على الجمعة المذكورة باندراجها تحت رئاسة نجله البار شرفاً كما أنعم عليها بتسميتها الفرقة الحسينية راجياً لأفرادها النجاح والتوفيق وعلى المحبة والسلام في ٣ رمضان عام ١٣٥٢: محمد المقرئ».

آثاره لازال رافلا في حلل السعادة بسلا

منها بناء ملجأ للفقراء والعجزة من الذكور والإناث بضريح الشيخ أحمد بن عاشر وتخصيص كل بمحل لا يشاكره فيه من لا يلائمه شرعا، ومدرسة أبناء الأعيان، ومدرسة للإسرائيليين، والمدرسة العربية الفرنسية، وإصلاح المدرسة العنانية، وترصيف طرقات البلد، والمجاز الخشبي المنشأ على وادي أبي رقرق، وإصلاح القنطرة الكبرى التي على الوادي المذكور، وتجديد وإصلاح كل أو جل مساجد البلد وميضاها، وتوسيع الشوارع، وغير ذلك.

آثاره أسمى الله قدره بوازان

منها إصلاح مسجد عين بوفارس وجعله مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة، وإنشاء سقايات للسبيل ببعض حومات المدينة وأزقتها وبالسويقة، وإجراء الماء بها من بير أولاد ريان، وغرس الساحة الواقعة بحومة الرويضة بأشجار الزيتون.

آثاره بطنجة زاده الله عز وتأييدا

منها المدرسة الصناعية المنشأة بدار البارود حيث الحصن القديم من أرض عقبة مرشان وإصلاح مسجد مرشان وصيانة براحه بحلقة تقيه من الأمطار التي كانت تصيب المصلين وتصل أحيانا إلى المحراب، وزيادة بلاطات بمسجد أبي عبيد بالسوق البراني (الخارجي) وزيادة بلاط بمسجد الجامع الجديد، وإصلاح مسجد مدشر الشرف وبناء مأذنته الجديدة، وإصلاح مسجد مدشر الخرب وبناء منارته أيضا، وإنارة مساجد المدينة كلها بالضوء الكهربائي، وإصلاح كنف المسجد الأعظم على الطرز الحديث، وإحداث كنف بإزاء الجامع الجديد، وإصلاح وترميم القصر السلطاني بالقصبة، وتأسيس نقطة الحليب لأيتام المسلمين والإسرائيليين من رعيته، وإنشاء مدرسة ثانوية ومدرسة ابتدائية ببرج القصبة المعروف ببرج النعام، وتأسيس

محل لمزاولة الأشغال الراجعة للبريد المخزني على أحدث طرز، ومحل لوقوف قطار طنجة فاس واستقبال القادمين فيه واستراحة المسافرين الذاهبين والمودعين لهم، ومستودعات لحفظ السلع الصادرة والواردة وحوائج الركاب المسافرين.

آثاره بالصويرة ونواحيها دام له الفتح والظفر

منها إصلاح مسجد مسجينة والزيادة في توسعته وترصيع أرضه بالزليج البديع، وبناء مكتب لتعليم الصبيان بإزائه وبيت للمؤذنين، وإصلاح مسجد الرحالة وتجديد سقفه والزيادة في توسعته زيادة تقدر بنحو الثلث، وإنشاء منارة به للأذان في الأوقات الخمسة، وإخراج المراحض التي كانت داخله تؤذي المتعبدين روائحها الكريهة وترصيف أرضه بالزليج، وتأسيس مكتب خاص بناظر الأحباس يزاول فيه أشغاله الحبسية على النمط العصري، وإصلاح مسجد السيد يوسف وترميم جدرانه، وإحداث طريق مسقف به يمتد من بابه إلى محل الصلاة، وتجديد ميضاته وميضأة مسجد القصبة العتيق وميضأة مسجد السوق وميضأة سيدي علي بن داود ومسجد آل اجدير ومسجد سيدي علي الكراتي ومسجد مسكينة والمسجد الأعظم.

آثاره دام سموه بتارودانت ونواحيها

منها تجديد مسجد تارودانت الجاع، ومساجد نز وقصر الخليفة السلطاني بها.

آثاره اتصلت سعادته بمراكش

منها إصلاح جامع الكتبيين ذلك الجامع الأثري العظيم الذي يمثل في هندسته حسن الذوق المغربي وبراعة الصناعات المغاربة في إتقان الفن الجميل العربي والتفوق فيه إصلاحا يعد تجديدًا رجوع به ذلك المسجد الجامع لشبابه ورونقه القديم بعد البلي وعوامل الخراب، وإنشاء ثلاثة حمامات، وتجديد مسجد الشيخ أبي حربة بحارة الصورة بعد أن خرب وتعطل ما يزيد على أربعين عاما، ومسجد حومة المواسين

الجامع، ومسجد حومة أسول، وإصلاح ضريح الشيخ أبي اسحاق، ومسجد بو ستة بحومة قاعة بناهش وميضاته، والمسجد الأعظم بباب ايلان، ومسجد ابن العربي به، ومسجد درب الشيخ عبد القادر بحومة ضبشي، ومسجد درب السنان بالمواسين، وجلب الماء وإجراؤه بالدور وسقايات السبيل بسائر حومات البلد، ومد القنوات للوادي المضاف بحوماته وقد كانت فيما سلف فاقد لتلك النعمة العظمى، وتأسيس حمام بالرحبة قرب جامع الفنا، وعدة ميضات عمومية.

ومنها إنشاء مدرسة ثانوية عصرية بها سميت باسمه الميمون وكان يوم افتتاحها يوما مشهودا في ٩ محرم ١٣٥٦ وذهب بنفسه لمراكش ليرأس حفلة الافتتاح وألقى هنالك خطابا، هذا نصه:

«سعادة المقيم العام:

إذا كان كما قيل، أفضل ما يهدى كتاب، فإن أكبر دليل على اعتناء الحكومة بمدينة من المدن هو أن تشيد بها معهدا علميا، أليس العلم عند كل الأمم المتقدمة أنفس الكنوز وأفضل الذخائر، فهو منير الأذهان ومفتاح القلوب لتمكين التعااضد في بني الإنسان إذ به يتحدثون في متبادل الوداد وكمال الإخلاص ليقوموا بالأعمال العظيمة الخالدة التي حلت هذا العالم الدنيوي، ولذلك يسرنا أن نقول أنا نعد من أحسن ما حصل عليه من نتائج الرقي بهذه المملكة السعيدة تقدم العلوم والمعارف، وليس هذا التصريح يا سعادة المقيم العام إلا إعراب عن كل ما تكنه أفئدتنا من الشكران للدولة الفرنسية التي لا تزال تبذل لنا إعانتها النافعة الثمينة مساعدة لنا بذلك حتى نمتع رعايانا المخلصين بالعلم الضروري لرقيتهم ورفاهيتهم، وإذا كان سرنا تعيينكم بالمغرب فما كان ذلك إلا لما نعلمه من إخلاصكم للاتحاد المغربي الفرنسي الذي شاهدتم نشأته الأولية ونموه العجيب بعد ذلك وقد أنفقتم في خدمته أوقاتكم النفيسة، كما تنفقون الآن في سبيل مصلحته خبرتكم المفيدة الثمينة وفضل مزايا

ضميركم، فبمجرد وصولكم إلى هذه البلاد أخذتم تسافرون إلى كل النواحي المغربية لتقفوا بنفسكم على حقيقة أحوالها مؤسسين أينما حللتم ما تتوقف عليه كل جهة من الإصلاح مقدما في ذلك الأهم فالأهم، ولئن ساعدتكم الدولة الفرنسية لكامل ثقتها بكم التي تستحقونها بما تتوقفون عليه من الأموال الضرورية، فإن المغرب الذي يتحقق كل إخلاصكم لمصلحته يدعوكم أن تعلموا في الهدوء والسكينة اللازمين لكل عمل نافع دائم، فإن الأعمال العظمى لا تؤسس إلا في هادئ الأمن ووطيد النظام اللذين لا تزال نحافظ عليهما في مطمئن الاعتدال وقوي الثبات، ولقد وضعنا يدنا الشريفة بكل صدق وإخلاص في يد ممثل الدولة الفرنسية الهام مقتدين بوالدنا المقدس، وليس ما حصلنا عليه من النتائج العجيبة في هذه المملكة الشريفة إلا نتائج جهودنا المتحدة في صادق الثقة والإخلاص في المشاركة، وبما أننا على يقين بأن هذه السبيل توصلنا إلى نتائج عظيمة إن اتبعناها بإخلاص فإننا نواصل أعمالنا متدريين بقوة هذه المبادئ، ولقد برهنا لرعايانا المخلصين بدلائل عديدة على أننا لا نألو جهدا في سبيل تحسين أحوالهم من كل الحثيات، وليس هذا المعهد الذي نفتحه اليوم إلا برهانا جديدا على عظيم اعتنائنا بالسعي الحثيث وراء سعادتهم ورفاهيتهم، وإليك يا أبناءنا الأعزاء هذه الكلمات التي نريد أن نجعلها ختاماً لخطابنا:

يسرنا أن تدخلوا هذا المعهد المنيف الذي نزدهي أن نضع اسمنا الشريف عليه لتحصلوا فيه على ما يصيركم رجالا، فإن المغرب العظيم بتاريخه وبغزير ثروته ومزايا سكانه الأنجاب يعتمد عليكم ويرجو أن تكونوا رجال الغد واضعا كل آماله فيكم لتسهلوا له رقيه إلى مداه حتى يحصل على ما نريده له من السعادة، واعلموا أنكم لا تستحقون ما يبذله والدكم وسلطانكم والدولة الحامية من الجهود إلا إذا اجتهدتم قوي الاجتهاد وراء التحصيل على المعلومات النافعة والتربية المهذبة الصالحة، فإن اعتناء أولي الأمر بكم قد مكنكم من معاهد متقنة كهذا، ومن كتب تجدون فيها ثمرات

العلوم ونتتاج العقل البشري، ومن مدرسين أفعمت قلوبهم بمحبتكم وكامل الاعتناء بشئونكم، فيتعين عليكم أن تغنموا كل ما لديكم من العلوم العصرية وقواعد النظام التي أتت بها هنا فرنسا العظمى، وكل ذلك التراث الثمين الذي خلفه لنا سلفنا المقدس الطاهر من العلوم الدينية والتقاليد التهذيبية ليتمكنكم أن تقوموا حق القيام بما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحرث لندياك كأنك تعيش أبدا، ولاخرتك كأنك تموت غدا».

آثاره ادام الله علاه بسطات

منها بناء مسجد القصبة الجامع الكبير والزيادة فيه وتبديل محرابه ومستودع منبره وإنشاء تحسينات لاثقة به، وإصلاح مسجد العين وإنشاء نظارة فوقه، وإصلاح ضريح السيد الغنيمي.

آثاره نصره الله بالدار البيضاء

منها الجامع الأعظم المنسوب للجلالة الكريمة المسمى بـ «جامع بن يوسف» الذي وقع الاحتفال بالشروع في بنائه يوم السبت سابع وعشري ربيع النبوي عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف موافق متم يونيه سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف، وكانت الجلالة المحمدية هي التي تولت وضع حجره الأساسي بيمينها الكريمة في جدار المحراب الذي عين موضعه صديقنا العلامة المحرر حامل لواء فن التوقيت في عصره المرجوع إليه فيه سيدي محمد بن محمد الشريف العلمي أحد شيوخ العلم الفخار بجامع القرويين المعمور، وكان يوم الاحتفال بوضع الحجر الأساسي يوما مشهودا لم يعهد له نظير حضره رؤساء الدولة وأعيانها الذين حضروا من جميع أنحاء المملكة لتوديع الجناح العالي عند سفره لفرنسا بعد التأسيس، ولما كانت العاشرة وثلاثون دقيقة من صبيحة اليوم المذكور اجتمعت الوفود الوافدة لحضور ذلك المشهد العظيم بالبقعة المعينة لاختطاط المسجد الجامع بها التي تحتوي مساحتها على ثلاثة آلاف

وثمانمائة وواحد وعشرين ميترًا مربعة لاستقبال الجلالة المحمدية وبعد أدائهم لجلالتهما التحية الملوكية زرافات ووحدانًا تقدم أمام جنبه العالي قاضي الثغر البضاوي صديقنا العلامة السيد الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء وتلا خطابًا في الموضوع إليكم نصه:

«الحمد لله الذي اصطفى من شاء لرفيع الرتب، وألهمه التقرب إليه بأعظم قرب، وأثابه بنيل البغية والأرب، والإجابة إلى ما سأل وطلب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق الذي حضَّ على ما يرضي الملك الحق، ورغب في بناء المساجد، ليؤدي العبادة فيها كل راعٍ وساجد، وعلى آله وأصحابه الأعلام الأماجد، المقتفين أثره في سائر المصادر والموارد، أما بعد فإن الله تعالى مَنْ علينا بأن جعلنا أفضل الأمم، وجعل نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من تأخر عصره ومن تقدم، وأنزل إلينا كتابًا مبينًا، ورضي لنا الإسلام دينًا، وجعل له قواعد وفرائض وسننًا وحدودًا، وأمرنا بإقامة ذلك غيبة وشهودًا، ومن أعظم قواعد الصلوات الخمس التي هي منه بمنزلة الرأس، وحض الشارع المخصوص بالمقام المحمود والشفاعة، على إيقاعها بالجماعة، ورغب في بناء المساجد لأجل ذلك، قال فيما رواه الإمامان البخاري ومسلم عن عثمان رضي الله عنه أنه قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم علي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجدًا يتغني به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة». وفيما أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى لله مسجدًا صغيرًا كان أو كبيرًا بنى الله له بيتًا في الجنة».

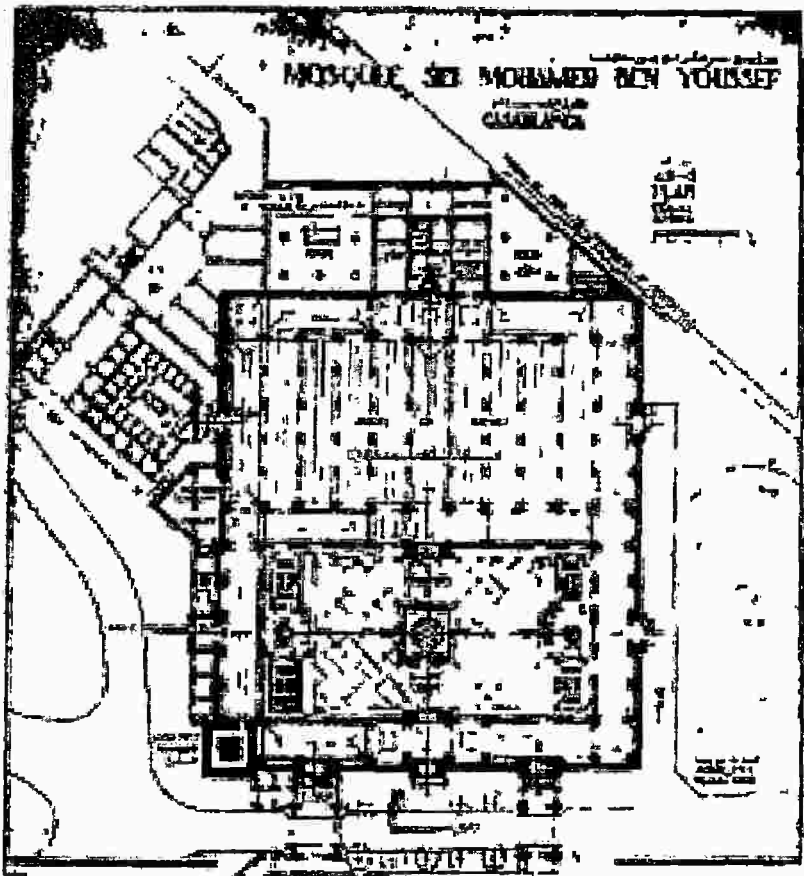
وفيما أخرجه الإمام أحمد عن بشر بن حبان، قال: جاء واثلة بن الأسقع ونحن بنى مسجدًا، قال: فوقف علينا فسلم، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجدًا يصلي فيه بنى الله له في الجنة أفضل منه».

ولما كان الشارع رغب في إيقاع الجماعة والجمع في المساجد التي قال فيها مولانا
جل جلاله في بيوت أذن الله أن ترفع سمعهم الملوك العظام وخصوصاً أسلاف
مولانا الكرام، إلى بناء المساجد لعبادة الملك العلام، وللغور بالخلود في دار السلام،
فهي مآثر من مآثرهم، معدودة إلى الأبد من مفاخرهم، كما قيل:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها	من بعدهم فبالسن البنيان
إن البناء إذا تعاضم شأنه	أضحى يدل على عظيم الشأن

وكما قيل:

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار



خريطة الجامع الحمدي

طالعار القم

وقد نهج مولانا أعزه الله في ذلك نهجهم، واقتفى أثرهم، وأمر بإنشاء هذا المسجد الذي يشرع فيه الآن، في هذا المكان، ولم يكتف دامت سعادته بإصدار أوامره المطاعة المنيفة، بل أراد أن يبرهن على ذلك بوضع الحجر الأساسي بيده الشريفة، زيادة في اغتنام الأجر العظيم، والثواب الجسيم، وأنتا نرفع أكف الضراعة والابتهاال إلى مولانا ذي الإكرام والجلال، أن يمد مولانا الإمام، وملاذنا الهام، بالعمر المديد، والسعد الجديد، والنصر والتمكين والتأييد، والعز المزيّد، ويجعل أعماله إلى محل القبول راقية، ودولته مغلدة باقية، ويبقي شمس سعادته مشرقة الأنوار، ويكسو دولته ملابس العز والافتخار، ويحفظه في أنجاله الكرام ويجرسهم بعينه التي لا تنام، ويريه فيهم ما تطيب به النفس، ويعظم به السرور والأنس، لا سيما ولي عهده الموفق إن شاء الله لكل فعل حسن، سيدنا ومولانا الحسن، بجاء جده خير الأنام؛ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام» هـ

ثم تقدمت الجلالة المحمدية ووضعت الحجر الأساسي بيدها الشريفة وناهيك بها من مفخرة.

اشتمل هذا المسجد الجامع على بلاطات سبعة، وحناحين أحدهما جنوبي وثانيهما شمالي ومباح غربي، بكل بلاط أساطين سبع، وبكل جناح أساطين أربع، وبالمباح أساطين ثمان، وبالجانب الشمالي مسجد خاص بالنساء، وبإزائه المنارة سمكها ثلاثة وخمسون ميترًا، وبصحن الجامع خصص (صهاريج مسديرة) إحداها في الجهة الجنوبية والثانية في الجهة الشمالية، بنيت على كل واحدة منهما فيه ذات حنايا محمولة على أساطين أربع والخصّة الثالثة بتوسطهما، ولهذا الجامع ثمانية أبواب باعتبار باب المقصورة، وبخارجه من الناحية الشمالية يوجد مرحاض ذو بيوت أربعة عشر، بكل بيت صهريج صغير من رخام لاستحاء، وبوسط صحنه صهريج مستطيل للمتوضئين مفروش بالزليج.

ولم يزل مولانا قارنه الفتح والظفر يتعاهد بنفسه بناء هذا المعهد المرة بعد الأخرى، ويبيدي للعملة ما تراه جلالته من الملاحظات الثمينة من ذلك أمره لهم بالزيادة في ارتفاع المحراب.

وكان افتتاح هذا الجامع العظيم للصلاة يوم الجمعة ٢٢ من ربيع النبوي عام ١٣٥٥ في مهرجان عظيم وحفل حافل وأقام مولانا المؤيد به صلاة تلك الجمعة بحضور وزراء دولته والرؤساء والكتاب والقضاة والعدول والعمال وغيرهم من الوفود المختلفة المتواردة من جهات عديدة للحضور في الافتتاح، وما حان وقت الصلاة حتى كان الجامع على رحبه وسعته غاصا بالمصلين وامتلاً خارجه بالواقفين والمشاهدين ولم يتمكن بعض رجال الحاشية من الدخول إليه إلا بشق الأنفس لشدة الازدحام على الأبواب وكثرة الخلق، وخطب به صديقنا الفقيه القاضي المذكور، فلما قضيت الصلاة انتشر الناس على أن يحضروا للجامع عند المغرب، وعند صلاة المغرب حضرت الوفود العديدة وبعدها استوى الناس وشرع المنشدون الواردون من العدوتين وفاس وغيرها في الترنم بالأمداح النبوية، مخللة بالبردة والهمزية، ومولانا الإمام جالس صدر المسجد خارج مقصورته الملوكية، وصف المنشدين عن يمينه وشماله، وخلف الصف اليمين بعض الأشراف والعمال والوجهاء، وخلف الصف الشمال الوزراء والرؤساء وأعيان الشرفاء وكبار الباشوات، وجمهور الأمة يتمتع بالنظر إلى محياه الكريم، وهو حفظه الله يشارك في التلاوة والإنشاد فكانت ليلة غراء، ذات جمال وبهاء، واستمر الحال إلى الساعة الثانية عشر، ثم انصرف مولانا الإمام لقصره العامر وانفض الجمع وتوجهت الوفود الرسمية للقصر السلطاني حيث مدت الموائد وأفيض عليهم من سجال كرم مولانا المؤيد ونعمه وهو يأمر بإظهار كمال الاعتناء والمباششة للوفود وإنزال الناس منازلهم وأمر رئيس ديوانه باطلاعهم على رحاب القصر وبساتينه وإيقافهم على محاسنه والناس في سرور وحبور إلى قرب

الفجر، فعاد مولانا السلطان للجامع ورجعت الوفود إليه، وبعد إتمام الإنشاد تليت قصيدتان وقع عليهما اختيار جلالته من بين القصائد المقدمة إليه في الموضوع إحداهما لرئيس ديوانه الملوكي أولها:

أشرق كشمس في العلات تلا	زد بالهداية عزة وجلالا
تهدينا رشدا يضمن الإقبالا	واحمل يمينك العزيزة راية
	والأخرى لجامع هذه الدرر وهي:
قلبت عزاً به تقرر عيناكا	أولاك بالنصر والتأييد مولاكا
مروح القلب في جنات نعماك	مؤيد العزم بالتوفيق في عمل
والدين يسعد ولدنيا بعلياك	فالفرح يرقل في أثواب سودده
أكرم بهم سادة في الناس أملاك	تدعو إلى الله إرثا عن أرومتكم
وذدت عنه بنشر العلم أحلاك	حتى تظهر هذا الشعب من درن
دعائم قاربت لولاك إهلاك	وزاد ملكك أمنا تستقر به
وأصبحت بجميل الذكر تلقاك	رفعت فينا بيوت الله فابتهججت
يفوق منظرها زهراً وأفلاك	أعظم بها من بيوت للهدى رفعت
من دق غدوا بين يدي الله نساكا	تخالها كقصور أخلد يعمرها
لا ما يرى نظميه في الجيد أسلاك	هم الجواهر لب الكون خالصة
قوما قد ارتفعوا حفظا وإدراك	كم من فطاحلة فيها اهتمدوا وهدوا
بهم غدا أهلها للفضل ملاًكا	وشأنهم نشر دين الله في خلق
عقائدا دحضت من كان أفاكا	وأصلت باصول الدين همتهم
غراء ميسمها لا زال ضحاك	وبالتفاسير كم أبدت لنا نكتا

ومن حديث رسول الله قد أخذت
والفقه نبال كما ترضون أبهة
هذا هو الفخر لا الزهراء زاهرة
قد قمت ترعى الرعايا بالصلاح فما
جمعت شملهم من بعد فرقهم
يأخذنا بعري التقوى تبارك من
سُدت الملوك وشدت كل مفخرة
سُست البلاد وأسست التآلف في
مولاي عزكم فوق الطباق رسا
ألبست نخوة ملك أنت بهجنه
ملكك لب رعايا أنت يينهم
سجت يا تاج أملاك الزمان لهم
وكم أبدت بسيف العدل من بدع
وكم وكم من معاهد أعاد لها
هيهات أين بنو مروان منك وما
كل تسامي لدنيا كان يعشقها
كفأك ما شدت فينا من معاهد قد
كم من موارد قد أصدرتها فرحا
ناهيك به (المسجد الأبهى) الذي عظمت

حظا جزى لا حمدنا فيه مسعاكا
بهاتبين أن الحق مرماكا
أو حلة دبجتها كف من حاك^(١)
فيها العمر الهدى من ليس يهاكا
كجمع أصناف خير في زواياكا
أنشا على شغف بها سجاياكا
واليسر صافاك واليسير وافاك
شعب العروبة فاعتزت رعاياكا
سبحان من فوق هام المجد ضاهاكا
حسن التواضع حتى جل معناكا
كالبدر في هالة والكل يراكا
برود عز فمن لنسجها حاك^(٢)
ومن قصمت جهولا كان فتاك
شبابها الغض قسط من عطاياكا
أشيد في جلق من حسن مبتاك
وأنست صيرت دين الله مغزاكا
رضيت من أجلها إنفاق دنيأك
ترضي بها من لفعل البر أنشاكا
أناره الغر في أرجاء (بيضاكا)

(١) سج.

(٢) شابه.

أعظم به شاهدا عدلا على همم
 يضم كل بديع وهو أبدع ما
 الحسن بعض صفات في مشاهدته
 ترتاح أفضلة العباد إن غشيت
 بل كل راء يناديه على شغف
 ما شدت من شاهق البنيان دل على
 تنافست به أرباب الصنائع إذ
 تخال فيه بديع النقش متسقا
 (أبوابه) عد أبواب الجنان غدت
 وصبغ غنج يزينه حور
 تحكي الثريا (ثرياه) التي بهرت
 كأنها عند أسراج وقد لمعت
 يغني بحياه أبقى الله بهجته
 إلى (ينابيع) عذب فاض منبجسا
 خريره في مجاري السمع ساجعة
 أكملت من مسجد اليضاء حصته
 ملأت مسولاي بالذكر الحكيم به
 ملكت أجرا به أنفردت متفعما
 هاذي الصنائع قد أحيت دارسها
 لعصر كالفخر في علم وفي عمل
 قد استنارت بك الأفكار فهي لها

تعمساء في ظاهر وفي طوايا كما
 يرى بإحسانك الضاني وحسنا كما
 وأينما شمتته بالبشر حيا كما
 رحابه وترى مغناه مغنا كما
 لله ما أعلى وأحلا كما
 معنى يجلد طول الدهر ذكر اكا
 أنلتهم من صنيع الفضل جدوا كما
 وشي الخرائد قد تاق لتلقيا كما
 مفتوحة من يلجها عذ نسا كما
 كطرف حوراء مدت منه أشرا كما
 زهر الكواكب إذ ضاءت بمرءا كما
 نور البشائر تبدييه ثنايا كما
 وصان مهجتك الغرا وقوا كما
 لكن عنوبته تجري بمجرا كما
 نشيدها: سيدي الله يرعا كما
 لما يمينك قد أولته يسرا كما
 (خزائنا) سجلت بها هدايا كما
 بأجر قرائنه في دار أخرا كما
 فشكرها العاطر الفواح يغشا كما
 فالمبتدي صار بالتفكير درا كما
 شأو التقدم إذ ترتقى بمرقا كما

إذ كان رأيك في فيض المعارف من
 فصار أغبط شخص في الوجود فتى
 وأقبلت دولة الأنفراح منشدة
 فانهض بنا لعهود الأئس منك ففي
 داعي السعادة قد حث المطي إلى
 يا سعد زائره وفوز حاضره
 أكرم بـ (ليلتك) الزهراء تعمرها
 محمد جدك المختار أفضل من
 فاطرب وطب واغتنم ملكا تسره
 قد وفق الله شعبا أنت سيده
 لك البرية تدعو كل آونة
 قد احتللت السويدا من قلوبهم
 وفاخر المغرب الأقصا بملككم
 نفديك بالنفس من شرور ذي حسد
 وحاط أنجالك الغر الكرام بما
 وهيا الخير والفضل العظيم لهم
 ولي عهدك ميمون العلا (حسن)
 الشبل من أسد والبدر مقتبس
 يا سيدي جاد نظم أنت باعته
 فكر (ابن زيدان) وقف في مدائحكم
 فامدد عليه رضى يعلو به شرفا

تيار نيل به عمت مزايكا
 بالعلم زاحم عند العرش أملاكا
 أدام ربي لأهل الغرب محياكا
 أسنى مقاماته الغرا عرفناكا
 مغنى بخدمته ما كان أغناكا
 بطيب خاطره إذ هو لبكا
 بمدح من نوره يعلو محياكا
 به الآلاه هدى وهداً إشراكا
 والسهر فيما تروم طوع يمناكا
 وليس من صنعتك الجميل ينساكا
 والله من بينهم بالفضل أسماكا
 بنصر دين الهدى والحق والاك
 عمالك المشرقين لا عدمتاكا
 فأسعد الله من بالنفس فداكا
 قد حاط ذكر حكيم حل أحشاكا
 فنلت في كلهم ما كان أرضاكا
 يحظى فبنحو بأق المجد منحاكا
 من شمس وحسن وما ندره الاكا
 فسين عظفت عليه إذ ترجاكا
 ولم يكن لمديح غيركم لاكا
 فإنه بصميم الحب صافاكا

منك الوفاء وفي وما الكمال سوى
 قالوا أطلت فقلت بل أطبت ولا
 قالوا تغاليت قلت لا أبسالهم
 أبقاك ربك في ظل الأمان على
 وأنت في فرح تزهو وفي مرح
 ما استعذب الناس إنشادا بمطلعه

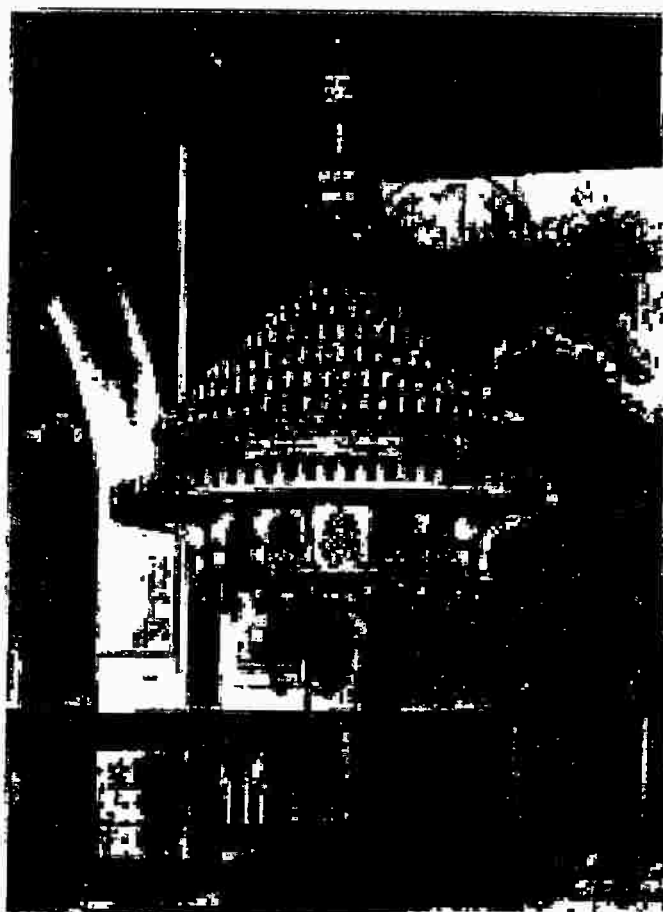
ما فيك من شيم الله زكاكا
 أعد طول مدحي فت؟ إنهاكا
 من بالمديح وفرض شعر وفاكا
 عرش الخلافة والأمنح تعطاك
 مظفر فوق هام العزائمواكا
 أولاك بالنصر والتأييد مولاكا



جامعة سيدني، تمجيد بن يوسف مالدنار النصاراء مائة اذنتلوه

لعمركم الله

هذه هي القوس التي رتبها ليدخل



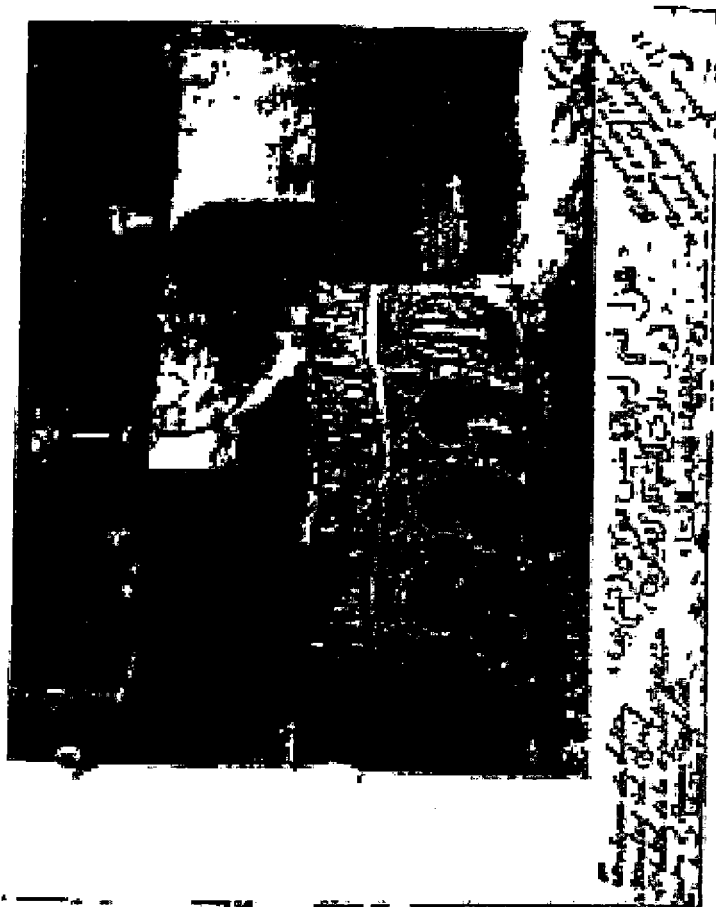
قصر الحسني

بجانب مبنى محمد بن يوسف

مآثر الإيثار المشرفة في القعدة سنة ١٢٦٠

٢٠٢

ويبدو من هذه الصورة الأثر



صريح البري التبريد في علي فابلال

ومن آثاره بها أيضا إدخال عين الفوارات المشار له قبل وإجراؤه بالأزقة والدور وغير ذلك.

ومنها إدخال الماء للجامع اليوسفي، وإصلاح جامع الشلوخ وكنفه وإصلاح ضوئه الكهربائي، وإصلاح جامع ولد الحمراء والزيادة فيه وإصلاح كنفه، وإصلاح جامع الصومعة المكرجة، وإصلاح ضريح السيد مبارك، وإنشاء رخامات ظلية لضبط معرفة الأوقات بالمساجد، وإنشاء مستودعات لحفظ المصاحف القرآنية، وتأسيس حمام القرية الحبسية البديع الشكل الذي لم يسبق لها نظير وإدخال الماء إليه والضوء الكهربائي، وإصلاح حمام دار المخزن وتجديد ما احتيج إلى التجديد منه، وإصلاح حمام باب مراکش وإجراء الماء إليه، وإصلاح ميضأة الجامع الكبير إصلاحاً متقناً على النمط الحديث، وإصلاح ميضأة جامع السوق، وإصلاح مجاري ماء ميضأة جامع القرية الحبسية، وإنشاء عدة سقايات للسبيل بها، وإنشاء كنف بقسم ١٢ منها وآخر بسوق البز منها وغير ذلك مما هو كثير.

ومنها الزيادة ذات البال والأهمية الكبرى التي زادها دام علاه بقصره الغامر الفاخر بذلك الثغر الذي ازدهى به وازدهر وتأسس مسجد أنيق به للصلوات الخمس.

ومنها تأسيس النادي الفرنسي المغربي الجم الفائدة العظيم الجدوى للعنصرين المغرب والفرنسي ولو لم يكن من فوائده إلا تبادل الأفكار والتآلف والتعارف، الكفيلان بإبادة التنافر والتخالف، اللذين وسعا مجالا عظيما لكل حلاف مهين همار مشاء بنميم اتخذ قلب الحقائق واختلاق الكذب وإفساد ذات البين أعظم متجر لكان كافيا إذ لا راحة ولا أمن ولا اطمئنان ولا ثقة لأحد العنصرين بالآخر إذا كان كل يحذر الآخر ويظن به الظنون ويصحبه على دخل وكيف يطيب العيش ويعمل الإنسان

بارتياح ونشاط والحالة ما ذكر، وشياطين الأنس أخزاهم الله قائمون على ساق.
آثاره بازموه كان الله له عوناً وظهيراً

منها إصلاح مسجد الزيتونة، والمسجد الأكبر، ومسجد الفصية، ومسجد الخديم.
آثاره زين الله بالمحاسن عصره بأسفي

منها إصلاح الجامع الكبير بها إصلاحاً متقناً و في توسعته وترصيف أرضه
وصحنه بالرخام وإصلاح وتخطيط محرابه وتعديله إلى سمت القبلة على كان من
قديم منصوباً إلى خطب وسط الجنوب خارجاً عن جهة القبلة بنحو خمسين درجة
وكان الناس يضطرون للانحراف عنه وإلا بطلت صلاتهم بطلان صلاة المستدير،
وكان الجاهلون من العامة بأمر القبلة والوافدون من جهات أخرى يصلون إليه جهلاً
بأمره وتختل تسوية الصفوف فيه وقد أقيمت به بعد التحويل صلاة عيد الفطر سنة
١٣٥٥ والجمعة بعده وإن كان العمل فيه لم يتم إلا في ذي الحجة.

آثاره أيد الله بابن سليمان

منها بناء حمام وبناء مسجد جامع من أساسه ومدرسة للطلبة وحفر بير وإجراء
الماء منه إلى الحمام وإنشاء فرن.

آثاره أعلى الله أوامره بقصبة ابن أحمد

من أضرها وأعظمها نفعا تأسيس ملجأ للعجزة والبؤساء يضمن راحتهم.

آثاره رفع الله به منار الإسلام بتأفيلات

منها إصلاح ضريح جده الأعلى مولانا علي الشريف، وترميم ما كان اندثر من
قصر الريصاني.

هذا ولو تتبعنا باستقراء ما لسلطاننا المحبوب من المآثر، وما أسس وجدد وأصلح

في دولته الشريفة من المعاهد الدينية، والمدارس العلمية، وأسس وأصلح وجدد من العقار لتنمية مداخيل الأحباس بسائر الأيالة السلطانية، وما أجرى من الإصلاحات وتذليل الصعاب، وتعميد الطرقات، وتقريب المواصلات، وجلب المنافع للرعية، والسعي وراء تنمية التجارة، لجاء ذلك في مجلدات.

ومن أعلى أثاره الأثيرة وأثمنها وأغلاها نرفع جنبه لعالي ترفعا طاهرا عما كان يقدمه ولاة الأيالة بين يدي نجواهم للملوك في الاقبالات العديدة، برسم الهدية، حيث تحقق لذا جنبه العالي ما خالط ذلك في الأعصر المتأخرة مما أخرجه عما كان يراده به من المقاصد الحسنة والصبغة المرعية الداعية لتقدمه في عهد أسلاف جلالة مولانا المقدسين وأنه أصبح سبيلا موصلا لسلب أموال ضعاف الأيالة وأراملها وأيتامها وأكلها بالظلم والباطل فأصدر أمره الأعلى البات بإبطال تلك العادة إبطالا كلياً وكف الأكف العادية عما كانت تجبیه باسم الهدية السلطانية وتدخله في جيوبها بطريق الغصب.

ومنها أنه لم أمسكت السماء مدرارها وخيف من تضرر الزرع والضرع وتكرر خروج الناس للدعاء والتضرع والاستغفار والصدقة أصدر أمره السامي لسائر قضاة الأيالة بإحياء سنة صلاة الاستسقاء وقد كانت أميت منذ نيف وسبعين سنة فصليت أولا بالرباط ضحى يوم الخميس سابع محرم فاتح عام ١٣٥٤ موافق ١١ إبريل سنة ١٩٣٥، وبسلا يوم السبت ٩ منه، وبفاس يوم الأحد ١٠ منه ثم أعيدت به يوم الثلاثاء ١٢ ثم أعيدت يوم الخميس ١٤، وصليت بالدار البيضاء يوم الإثنين ١١ وصليت بمكناس يوم الثلاثاء ١٩، وأعيدت بفاس يوم الأربعاء ٢٠.

ومنها دخول بقية القبائل العاتية العاصية في طاعته، واستتباب الأمن فيها استتبابا بلغ حد نهايته، بحيث لم يبق هنالك من يوسم بوسم الخروج عن ولايته.

وإحياء الدارس من المدارس، وتأسيس الجمعيات الخيرية في سائر الأيالة المغربية، وتأسيس جمعية النشر والترجمة أرشدها الله للعمل وإدخال الباكلوريا في المدارس الثانوية، وتأسيس جمعية الوكلاء الإسلاميين بالمحاكم الشرعية.

ومنها تنفيذ إعانة مالية مشاهرة لمن حصل على الباكلوريا بالمدارس الثانوية من رعيته ورام الرحلة لباريس لتلقي العلوم الاختصاصية كالطب والهندسة والفلاحة وما إلى ذلك.

ومنها بل التي تعد فاتحة مزايا مولانا الممتازة توجهه كل عام لعواصمه الثلاث مراكش وفاس ومكناس وزيارة مدارسها ومستشفياتها وملاجئها الخيرية وصلة ققراؤها، ومخبرة خبرائها وكبرائها، فيما ينمي تجارتهم، ويحسن حالتهم، ويضمن زهرة مستقبل بلادهم.

ومنها قيامه بجولة استطلاعية في ناحية كل عاصمة يحل بها من العواصم المذكورة لتفقد شئون الرعية ويرى بعينه أحوال الأيالة لم يدع خلال تلك الجولة موطنًا بهم الوقوف عليه والالتفات إليه في سهلها وجبلها إلا أعاره حظًا وبحثه باهتمام وسأل عما زاد فيه وما نقص، وذلك أسطع برهان على ما لمولانا من أصالة الرأي وعظيم التأثير، الناشئ عن شدة الحلم وكبير العطف وشديد التنازل لا ينبئك مثل خبير.

ولما ظهر منه أيده الله ما ظهر من التيقظ في الأمور والاهتمام بأمر الرعية والاعتناء بشئونها ومصالحها والحدب عليها وتجلي منه ذلك في أمور كثيرة قامت الأمة المغربية مطالبة باتخاذ ذكرى ليوم جلوسه على عرش المغرب تكون سنوية تعبر فيها عما تكنه من عواطفها النبيلة نحو عرشه المجيد وشخصه المحبوب فصدر الأمر باتخاذ عيدًا رسميًا، بعد أن كان مطلبًا شعبيًا، وتأسست بذلك ذكرى جلوس جلالته المحمدية على العرش الذي اهتزت له الأرض وربت وتبارت في الاحتفاء والاحتفال به طبقات

سائر الأيالة الشريفة وتفنن الشعراء والكتاب في وصفه وأفيضت فيه سجال العطايا على الضعفاء والبؤساء وأظهرت الأمة الكريمة المغربية، ما تكنه من الإخلاص والولاء لهذه الدولة العلية، وكنت ممن أدلى بدلوه مع الدلاء في تهتة ومديح صاحب الجلالة والتاج، ونور المغارب الوهاج، فقلت:

مولاي!

أعزك الله وأدام علاك، وأنا مضي نوره-:

في مثل هذا اليوم المبارك وهو الثامن عشر من شهر موافق ثالث وعشري جمادى الأولى سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف أي منذ سبع سنوات استلفت الدهر حادث ملأ الكون مهابة، والنفوس إخباتا وإنابة، وسلك بالأمة المغربية صوب الصواب، فأحسنت عنه السؤال والجواب، ونالت بتتويج ملكها المحبوب حسن الثواب، فلقد أثابها بنشر المعارف، وبذل المعارف، حتى اجتنت ألد المقاطف، وجمعت إلى تالد مجدها المجد الطارف، ولبست من ملابس عصره الزاهي أجمل المطارف:

عصر به تزهى المعارف والعلا وتيه ناشئة البلاد وتسعد
وتجمر أذيال الفخار كأنها في عيين مبصرها الحسان الخرد

في مثل هذا اليوم جلس ملكنا المحبوب على عرش الخلافة، ولم ترض الأمة للجلوس عليه خلافة، لما امتاز به من المزايا الممتازة، والمميزات التي هي بمجاز الحقيقة مجتازه.

لله يوم أعظمت منه الدنا قلداً فذكره عندها يتجدد
يوم تجلى عن خلال خلاله سعد به ترقى البلاد وتصعد

يوم علم الأمة المغربية كيف تقيم الذكرى، وترفع لشعبها بين الشعوب الراقية ذكرى، يوم أفاض على المغرب أنواره وأنواءه، وجمع أشتاته ووحد أهواءه، فوجب

تخليد ذكراه، وتجديد عيد بشراه:

يوم له في قلب وامقه هنا ويقلب مبغضه المقيم المقعد
يوم به البشرى تجلى بشرها مترق قايما لي الحياة فينجد

يوم كان مظهره مبعث الإصلاح العام، فأخبره أن يحتفل بذكراه في كل عام، وتمد
فيه موائد الإخلاص قبل موائد الطعام:

يوم به الأقصا سما إصلاحه فهوت إليه من الأقاصي القصد
قالت سعوته أيها الغرب انتهض وانشط فإنك بالسعود معضد

أيها المغرب الأقصا قم على قدم وساق، وأقم ذكرى هذا اليوم في كل عام باتساق:

قم وانشر الذكرى ليوم عناية لم تطو ما نشر الآله يد
تزد بذلك عزة ونباهة وتقدا ميثاقه متوطد

هذا اليوم الذي تجلى فيه الملك رافلا في حلة الشباب، وتوافرت فيه على تقدمك أيها
المغرب الأسباب، وكان عيداً عاما تهللت فيه الوجوه، وتبينت من طلعتته المشرقة أنك
ستنال ما ترجوه:

ذا اليوم يوم أبصرت به أعين وجه هنا وبدا السيل الأهد
وغدا لواء النصر منشوراً به إذ توج المولى المليك محمد

هذا يوم الذي تفتحت فيه أذهان أبنائك، وتفتقت فيه قرائح نجبائك، حتى كادت
أن تسيل في سبيل إرضائك على الأسفل، وأنشدت عند إغضائك إن لم تصدقني فسل:

فغدوت روحاً للشعور غمدهم وأثرت رغبتهم فراق المشهد
وبشيت روح الأريحية بينهم فحللت ما كان متكاسل يعقد

هذا اليوم اندي تدفقت فيه موارد الشعور بقوتها الفياضة، على الدولة المحمدية
الفنية فاختلفت في حلل الزهور الفضفاضة، ثم شممت في ميدان العمل عن الساعد،

فلقيت من قوى الطبيعة أقوى مساعد:

ومشى بها عصر التقدم مسرعا فسماها في كل سمي محتدا
في كل أونة تزيد ترقيا وكذا الأريب من العلا يتزيد

واتجهت المملكة المحمدية اتجاها وجيها جديدا، ناحية نحو ما يحقق لها مصيرا
جميلا حميدا، جالبة ما يوفر لها دواعي الرقي وأسبابه، ويفتح لها من مقفل التقدم بابه:

وزيد أوتار الشعور تحركا فيها فتفور في العلاء وتنجد
ويجرب ذيل فخاره متجاوزا نهر المجرة بالنجاح مؤدي

وكيف لا وهذا اليوم هو الذي استوى فيه سلطاننا المفدى على عرش أسلافه
الأجداد، وتسلم فيه أزمة حكم البلاد، ليسير بها إلى ضالتها المنشودة، التي تقتضيها
سمعتها التاريخية المحموده، وترتضيها مثابتها الاجتماعية، حتى يبلغ بها الوطن
المحبيب مساعيه:

يوم عظيم راق وجهه إذرقي ال عرش العظيم به الإمام المفرد
حدث بما قد شئت عن أخلاقه فحديثه الحسن الصحيح المستند

فالواجب علينا أن نحتفل بتخليد هذه الذكرى مجتمعين، ونتخذ هذا اليوم عيداً
وطنياً ولسنا في ذلك بمبتدعين، وما اجتماعنا لذلك في الواقع إلا لسان ناطق يعبر عن
عواطف الملايين نحو متبوعا في جميع المناطق، ويعرب عن تعلقهم بعرشه وسدته،
وتفانيهم في طاعته ومودته، والدعاء لجلالته بازدهار عصره وطول مدته:

أبقاه من أعطاه ملكاً شاخا في عزة تنكي العداة وتكمد
لم لا يردد شكره من أخلصوا ويسعيه اليمون يصفو المورد

وهل العرش الذي استوى عليه، وألقيت مقالي أمره إليه، إلا رمز لعظمتنا بين

الأمم، وتسمننا من المجد والترقي شوامخ القمم^(١)، وتشخيص لآمالنا التي بإدراكها تنجلي الغمم، وهو فوق ذلك أمانة، تشفي المحافظة عليها من الزمانة، وتقضي بالالتفاف حول حارسها الأنجد، ونكران اللذات في خدمته حيث ما أغور وأنجد:

ملك له تدعو الممالك بالذي هو في مصالحها الأهم الأوكد
مما يزيد الثابعين تقدما في كل منقبة تفيد وتسعد

أيها الملك المحبوب! أنت روح الرعية، فلا حياة لنا إلا بصفاتك الجميلة المرعية، فأنت نافخ روح الحياة فينا، والكفيل بها يصلحنا ويشفينا، والباعث لما يكون شعورنا بالوجود، ويقرر حقنا في إغوار الحقيقة والنجد:

فتتال ما نرجو ونحى فوق ما يهوى الرقي وذاك عيش رغد
لا زال جانبك المؤيد طبق ما يرجوه من له وص وتودد

أيها الأمة المغربية ذات النخوة العربية، والنفوس الأبية، أنه لا بدع في قيامكم بهذا الواجب المطلوب، نحو ملككم المحبوب، فإن شأنكم إقامة المهرجانات الفخمة، والاحتفالات بالذكريات الضخمة، فكم من مواسم تقام في غربك، وتنق عليها الملايين من جييك، يشوها الضالين بشدخ الرؤوس، يزر الحديد ومحدد الفتوس، وإخراج الصلاة عن الوقت، إن لم نقل بالترك الكفل لهم بالويل والمقت، واختلاط النساء بالرجال، والتجاهر بكل منكر جال، كبقر بطون الشياه، والتلطخ بالدم المسفوح والله عن ذلك ناه، يشد إليها الرحال كل عام، خواص مجانسيهم والعام، هي في الحقيقة أخط قيمة، من هذه الذكرى المنبهة المقيمة، أن هذه الذكرى لمرءة صقيلة يتجلى فيها ما قام به في ترقيك مولانا الإمام، وما بذله من نفس ونفيس في سبيل إصلاحك العام، وهنالك تستعرض أمامك إصلاحاته الجممة، التي أدخلها في أقرب

(١) القمة بالكسر أعلى الرأس وكل نبى.

وقت على هذه الأمة، ولو لم يكن منها إلا سعيه في نشر المعارف الراقية التي هي من سقطات الجهل والتأخر واقية، لكفى ذلك دليلا على اهتمامه بترقيتك، وتحسين تربيتك، وتثبيت مركزك وإعلائته، وتسيير شأنك في سماء عليائه، وعند ذلك تقولين بملء فمك منشئة منشدة، وللطريقة المثل مرشدة، داعية لصاحب التاج والجلالة ومهنية، وشادية بعيد ذكره ومغنية:

فليحيى سلطان البلاد محمد	من سيف عدله مصلت لا يغمد
وليجهن رب الصولجان جلوسه	بمنصة يعنو إليها الفرقد
وسموه في هيبة وجلالة	في العرش يعلوه السنا المتصعد
وليحيى عرش الملك عرش محمد	فينا كما يرضى النبي محمد
سبط الملوك الصيد وارث ملكهم	من جاء للدين القويم يحمده
وليحيى مولانا الإمام منعمنا	محروس عين عناية لا ترقد
وهناء ملكه دائم متواصل	وصموه طول المدا متجدد
وليحيى في حلل السعادة رافلا	يدعو إلى النجح الجلي ويرشد
لا بدع أن سر الزمان فإنه	عين الزمان ونسوره المتوقد
وليحيى عرش المجد عرش جلوده	محييا جميلا فائقا ما يعهد
وليحيى فينا العلم وفق مراده	بوجوده وليحيى فينا السودد
وليحيى ميت العز بعد بلائه	فترى غصون رياضه تتأود
وليحيى من تسروي العطاش علومه	وليحيى من يسروي الحديث ويستند
وليحيى فخر المغرب الأقصا به	ما جد في دعواته متهجد
وليحيى يوم فيه أعطى حقه	وليحيى تاريخ له لا ينفد
هو للخلافة شمسها وبه انجلي	زمن طلوعه بالكمال مخلص

وأول احتفال أقيم لهذا العيد بالمغرب كان في ١٨ نوفمبر عام ١٩٣٣ الموافق ٢٩ رجب ١٣٥٢ وكان احتفالا شعبيا أقامته جمعيات وجماعات المؤلفة لذلك الغرض ووجهت فيه برقيات التهاني لجلالته وهو يومئذ بمراكش في وجهته الحريفية، فلقي ذلك منه قبولا واستحسانا وتقرر في السنة الموالية بقرار وزيري، وفي كل عيد، تبدئ الجلالة المحمدية في إسعاف المعوزين وتعيد، وتستدعي الموظفين والأعيان وذوي الحشيات من الأهالي والأجانب للقصر العامر لتناول ما لذ من فاخر أنواع الحلويات، وكثوس الأتاي والمبردات، وتمنح الأوسمة وتقابل الضيوف بما جبلت عليه من أخلاق مصطفية وهش وبش.

لا زال عصر مولانا مشرقا بأنوار النصر العزيز والتأييد، مرموقا بكمال العناية على التأييد:

ولا زال مولانا الإمام محمد	مليكاله من عون مالكة جند
ولا زال بلدا يستضاء بنوره	يلوح بأوج الفخر مظهره الفرد
ولا زال في ثوب المسرة رافلا	وعيش رعاياه بإفضاله رغدا
ولا زال في كل المقاصد ناجحا	فيرتع في روض المنى الحر والعبد
ولا زال في عز يعمز مثاله	لهينه تعنو القساور والأسد
ولا زال في كل الشئون مسددا	بصائب رأي لا ينهنه رعد
ولا زال في كل المصالح ساعيا	بأحسن تدبير به حزمه يسدو
ولا زال نصر الله يخدم باباه	ويقصده من زهر أسعده وفد
ولا زال ملحوظا بعين عناية	أتت بفتوحات بها انتظم المجد
ولا زال يرعى للرعية رشدا	بتأليف آراء يفرقها الحق قد
ولا زال للدين الخفيفي حاميا	يشيد به صرح الهدى وبه يشدو

ولا زال للعلم الشريف مجددا
 لينتقد من يمس الضلالة جاهلا
 ويصبح في روض المعارف راتعا
 فيزداد منه الفكر خصبا وجدة
 إذ العلم معراج إلى كل نهضة
 به ينصب القسطاس للعدل مثل ما
 ويرشد للنقد الصحيح شيا بنا
 وتخرج الأفكار ما ترقى به
 وليس لذا من همة علوية
 به الملك يزهو والممالك تزدهي
 ومن يكن الرحمن شائدا ملكه
 وتعنوله الأعيان ودا وهية
 وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام، وصحابته بدور التمام، وآله
 المحرزين غاية الشرف ونهاية المرام.

وافق الفراغ من إخراجه من مسودته ضحوة يوم الجمعة سبع صفر الخير عام ثلثة
 وخسين وثلاثمائة وألف، وعادة النظر والزيادة فيه في رجب ١٣٥٦ بالعاصمة
 المكتاسية، لا زالت آثار المصلحين بها غير متناسبة:
 آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

ولما أتممت هذا الكتاب قدمت منه نسخة للسدة العلية، والجلالة المحمدية، فوقع من الجنب العالي أحسن موقع، وأصدر مولانا أيده الله هذا الظهير الشريف، الذي يعتبر تاج التقاريط، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المحمدي الكبير:

«ابن عمنا الأعز، مؤرخ دولتنا الشريفة، نقيب العائلة الملوكية، ووارث سر الأسلاف، ویتمة الأصداف، الفقيه العلامة، الذي لا يحتاج إلى التمييز بعلامة، الشريف مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، لا زالت رياض العلوم بأزهار معارفك تزدان، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه الأعم وتحياته؛ أما بعد فقد وصل جنابنا العالي بالله مؤلفكم (الدرر الفاخرة بمآثر آبائنا وجدودنا بفاس الزاهرة) الذي وجهتم لشدتنا الكريمة هدية، وطرفة أدبية سنية، فتلقيه جنابنا الكريم بيمينى القبول والإكبار، ولاحظناه بعين الرعاية والاعتبار، وحلينا به جيد مكتبتنا الملكية الفاخرة، وجعلناه واسطة عقد ذخائرها النفيسة المتكاثرة، بعد أن طالعناه وتصفحناه مطالعة وتفصح ناقد بصير، وأحطنا من مكنون سره بكل نقير وقطمير، ووجدناه نتيجة فكر خريت درس الحقائق وراضها، ومدرس صنعة التأليف واقتحم لججها وخاضها؛ فظهرت في التدبيج والترصيع براعته، وفاقت وراقت في الإلتقان براعته، وارتقى على السوى برقة الأسلوب، ورشاقة دقة كيفية الوصول إلى المرغوب مع فصاحة وبلاغة وصراحة، فللك أبوك لا فضل فوك، أدیت عنا عجز عن الوفاء به الأوائل، وسددت فراغا عظيما بهمة فعالة وعمل في النفع العام المتواصل، وجددت ما اندثر أو كاد من مراسم الاعتلا، ونشلت من مغالب الإهمال والبلا، وأظهرت للعيان ما خفي عن تقدم من الجهايز النقاد، من مآثر الآباء والأجداد، أصلحك الله ورضي عنك وأمنك ورعاك، وأعانك وزاد في حسك ومعناك، والسلام صدر به أمرنا الشريف المعتر بالله تعالى في ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٥٤هـ.

ثم بعد هذا صدر الأمر العالي بتقديمه للطبع على نفقة الجنب الشريف حسبما

ذلك في كتاب صاحب الدولة الصدر الأعظم المطبوع نصه صدر هذا الكتاب.

نص ترجمة الظهير السلطاني المذكور للفرنسية:

Louanges à dieu, seul. Que ses prières et ses bénédictions se répandent sur Notre seigneur et Maître Mohamed, sur sa famille et ses compagnons.

A notre très cher cousin, historien de notre dynastie chérifienne, chef de notre famille imériale, héritier de la vertu de nos ancêtres, homme d'un mérite aussi rare que la perle unique des coquilles de nacre, juriste très savant qui pour être distingué n'a pas besoin de signe particulier, le chérif MOULAY ABDERRAHMAN IBN ZAIDAN, puissent les jardins des sciences ne point cesser d'être parés des fleurs de votre savoir.

Que le salut vous soit accordé, ainsi que la miséricorde et les bénédictions de dieu le Très-Haut. Qu'il daigne vous marquer son entière satisfaction et vous donne longue vie.

Notre Majesté chérifienne, élevée grâce à dieu, a reçu votre ouvrage: "les perles précieuses des hauts faits de nos pères et de nos aïeux dans fez la florissante". Vous nous avez adressé en hommage ce précieux présent littéraire.

Nous lui avons réservé le meilleur accueil, en lui accordant l'importance qu'il mérite. L'intérêt et les soins auxquels il a droit. Nous en avons fait l'ornement de notre glorieuse bibliothèque royale en lui réservant au milieu de ses nombreux trésors la place d'honneur qui est celle de la perle centrale d'un collier.

Nous l'avons tout d'abord lu et examiné avec le soin du critique sagace et nous en avons pénétré toute la vertu cachée. Il nous était apparu comme l'œuvre d'un esprit rompu aux enquêtes scientifiques et habile dans l'art de la composition.

Vous ornez de bijoux la trame précieuse de vos écrits c'est par là que votre talent se manifeste. On ne peut surpasser la solide perfection de votre style limpide. Par sa délicatesse, par votre manière élégante et précise d'exprimer votre pensée, par votre éloquence claire et convaincante. Vous vous élevez au dessus de vos émules. Nous vous en félicitons et vous souhaitons de poursuivre dans cette voie.

Par cette ?? vous vous êtes acquitté d'une dette que vos prédécesseurs impuissants avaient négligée et vous avez comblé par une volonté agissante et dans un souci constant de l'intérêt général une grave lacune.

Vous avez retracé les hauts faits de nos ancêtres, oubliés on menacés d'oubli; vous les avez sauvés de la disparition, conséquence de l'abandon où ils étaient laissés. Vous avez mis en ?? ?? d'entre eux qui avaient échappé aux critiques ??? dien améliorer votre sort et vous marquer sa ??

donne la paix et qu'il vous ait en sa ?? en aide et qu'il accroisse votre faculté ??? de sentir.

Sa'rt. F??? < la il mille trois cent cinquatre quatre.

وقد قرظ هذا الكتاب جماعة من أركان الدولة المحمدية الشريفة ورؤسائها وأعلامها وكتابها وأدبائها وغيرهم نذكر تقاريطهم على ترتيب تاريخها فمن ذلك ما كتبه عليه صاحب المعالي وزير العدلية الفقيه العلامة السيد محمد بن عبد السلام الرندي مقرظا ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد فقد اطلع كاتبه كان الله له على ما سطره العلامة المؤرخ المطلع الخبير، الأديب الشاعر الناصر البارع الكبير، الذي جعل الله تعالى له في التاريخ والأدب يدان، وأن هاذان لباحران، الشريف الجليل النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، أبقى الله تعالى علينا وعليه فضله ما تعاقب الملوان، وأهطل من نواله بحور فيضان، وكان لنا وله في الدارين أحسن كيان، وذلك ما جمعه من بعض مآثر من تستمد منهم البحور، وتزين بعلاهم النحور، ساداتنا وموالينا الملوك العلويين الأجلاء العظماء الذين جعلهم الله تعالى غرة في جبين الدهر، وأيدهم بالعز والظفر والنصر، وشرف نسبهم الزكي الطاهر، وأعلى قدرهم البهي الباهر، أبد الله تعالى دولتهم، وخلد صولتهم، وأعز بهم دين الإسلام، وزاد بهم إلى أمام، وأدام الدهر من خدامهم، والسعادة والنصر من خلفهم وأمامهم، فآلفيته قد استقصى في ذلك بقدر الإمكان ما قلما يقدر عليه غيره إنسان، لما أمدده الله تعالى به من التوفيق وهدهد للخصوص على درر تلك المآثر من أوضح وأدق طريق فهو رجل علم منطق الأحجار، وفهم مخاطبة أعواد الأشجار، ويكلمه حبس الجيار، فيا ما أغوصه على ما خفي من تلك المآثر، وسواء عليه من الخفي والظاهر، فالراقف عليه باهت باهر، لا في الأول ولا في الآخر، هذا مع كون ما ذكره، وإن استعظمه انطاع واستكثره، فهو أقل من عشر العشار مما لتلك الدولة العظيمة من المآثر والمحاسن

الغزار، والفضائل والفواضل وعلو المقدار، مما لا يكاد يأتي على الانحصار، ولكنه قد جمع جمعا، استقى فيه وأوعى، فلا يسع المطلع على ما ذكره، على الوجه الذي سطره إلا الاعتراف له والإطراق وتسييح الواهب الخلاق، المفضل حتي في العلوم والأرزاق، وقد خمست بيتين مشهورين قила في غيره، لأثنى عليه وأعوذ كتابه هذا من شر حاسده وضيره:

إذا ما القوس أعطي من براها	وأسندت الأمور لمن دراهها
أقول وقولتي حقا أراها	«جميع الكتب يدرك من فراها ملال أو
ملال أو فتور أو سأمه	
فكل ما المؤلف يصطفيه	ويأتي بعده ممن يقتضيه
فلا ينجو لسانه بفيه	«سوى هذا الكتاب فإن فيه
بدائع لا تملى إلى القيامه	

وحرره تاسع حجة الحرام عام ١٣٥٥، عبيد الله تعالى محمد بن عبد السلام الرنده كان الله له في الدارين.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى العلامة سيدي محمد بن العربي العلوي:

الحمد لله

أما بعد فقد اختلست من أوقاتي الممتلئة بالأشغال المتزاحمة، والقضايا المتراكمة ما صرفته للاطلاع على ما أمكن من هذا السفر الجليل، والذخر الثمين النبيل، فإذا هو قلادة النحر، بل هو يتيمة الدهر، مما يجب أن يشد عليه بيد الضنين، ويغالى فيه لأنه الكنز الدفين، فموضوعه من أشرف المواضيع وكيف لا وهو مآثر السادات الأشراف العلوية، ومفاخر الملوك الحسنية العلوية:

ممن لم يكن علويًا حين تنسبه فإليه في قديم الدهر مفتخر
 وواضعه هو جهينة هذا السر المكين، وعند جهينة الخبر اليقين، فهو أجدر من
 يعطي هذا الموضوع حقه ويستوفيه، فرب البيت دارى بالذي فيه، على أنه وإن أتى بما
 لم يسبقه إليه سابق، ولا يلحقه فيه لاحق، فما هو بالنسبة إلى الواقع إلا كنقطة من بحر،
 أو قطرة من مستهل قطر، ولا سيما فيما يرجع لمآثر ملكنا المفدى، ومفاخر مولانا الذي
 بهديه يستهدى، إذ لم يأت منها إلا بأوائها، ويستصغر وإن كانت عظيمة عند مقابلتها
 بأواسطها وأواخرها، إن شاء الله تعالى:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنالترجوف فوق ذلك مظهرنا
 فلسان حاله أعزه الله عند عارفه ينشد:

لستنا وإن إحساننا كرمنا يوماعلى الأحساب نتكل
 نبني كما كانت أوائلنا تبني وتفعل مثل ما فعلوا
 ويردد:

عهد من الأبا توارثها الأبا بنوا عجلها لکن بنوهم لها أبنا
 أدام الله في فلك السعادة بدره وحفظنا فيه وفي أنجاله الكرام، وأدام الملك فيه وفي
 عقبه إلى يوم القيامة: محمد بن العربي العلوي وفقه الله.

وكتب عليه صاحب الفضيلة الشريف العلامة سيدي المدني ابن الغازي ابن
 الحسيني بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى:

الحمد لله

أما بعد حمد الله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، والسلامين على صفوة الخلق
 الذي لا يحصر حاصر مفاخره، وعلى آله وأصحابه البحور الزاخرة، ما انتظمت في

عقودها الدرر الفاخرة، فقد وقفت على ما كتبه صديقنا الأديب الكبير المؤرخ الشهير من اشتهر في التاريخ المغربي بين الأماثل كأمثال الميداني العلامة النقيب الزيداني، في مفاخر ملوك دولتنا العلوية، ومآثر رجالها العظام الذين حازوا قصب السبق بالأولوية، فوجدته البحر الزاخر، في إبداء تلك المآثر والمفاخر، محققا فكرة من قال: كم ترك الأول للآخر، ولا غرو فقد أعطيت قوس العلا من قد برا، وكل الصيد في جوف الفرا، وقد جعل الله فكل شيء قدرا، ورب البيت بما فيه أدري به إذ له في هذا الميدان، يدان، وطاع له فين ودان، كل قصي منه ودان، ولما هو عليه من جليل الإفادة، وأثيل الإجادة، أنشدت فيه قول أبي عبادة:

وإذا دجت أفلامه ثم انتحت	برفت مصاييح السدجا في كتبه
حكم سحائبها حلال بنانه	هطالنه وقلبيها في قلبه
فالروض مختلف بحمرة لونه	ويباض زهرته وخضرة عشبه
وكانها والسمع معقود بها	شخص الحبيب بدالعين محبه

ذلك أنه أتى بمفاخر عظماء أولئك الملوك، ناظما عقود جواهرها في سموط وسلوك، مستغرقا في جميع تلك اليواقيت أوقاته بين غسق ودلوك، واستوعب الأخ النقيب، وأكثر من التنقير والتنقيب، إلى أن فاز بالمعالي والرقيب، وذلك بعد أن أثار صحائف التاريخ وصفائح الآثار، التي لا تكاد تقاربها موجبات الاندثار، مجتنباً سبل العثار، اللاحقة للتمسك بالإكثار، ممن خصه بالإيثار، وجعله الشعار والدثار، وكل ذلك ناطق بمآثر أولئك الأطواد، ومفاخرهم الشاخنة في كل ناد؛ لأن مفاخر هذا البيت بيت آل علي، باقية على كر الغداة وسر العشي، لا يلحقها دثور، على تعاقب العصور، ولا يصادفها في أدوار التاريخ نسيان:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البتيان

شيدها الرشيد وإسماعيل؛ إذ كانا لهذا البيت السباق مقدمة الرعيل، وغير

مستغرب رفع إسماعيل للقواعد، والسعد لساعده مساعد:

فإسماعيل كم أبدى وأسدى وأهدى من مآثره الجسام
فطنجة والعرائش في ثغور بدت تفتت منه بابتسام
فهو البيت الرفيع العماد، والحصن الذي هو أعظم الحصون فيها يصون الإسلام
على تعاقب الأماد:

إن الذي سمك السماء بنى لهم يتادعائمه أعز وأطول
وهو وإن جمع ماسنح ولمع، فما هو الأغيض، من فيض، وقل من كل، ولا سيما مآثر
مولانا الإمام المقدى، ومفاخره التي لا يناها الاستقصاء عدا؛ فإنها لا زالت تتجدد
وتتكاثر أفرادها وتتعدد، فهي كالمزن الصيب متوالية تستمر، وأول الماء قطر ثم
ينهمر، فعذر المؤلف أنها لا تبرح في ازدياد. و:

إن في الموج للغريق لعنرا صادقا أن يفوته تعداد
لا زال مولانا الإمام لجبين هذا العصر غرة، ولعيون الإصلاح والمصلحين قرة،
ومفاخره بين تلك المآثر الزاهرة درة، وأيد به الإسلام، وشيد به منار العلم المستضاء به
في حنادس الظلام، ونشر به معاهد التعليم في جميع أقطار هذا الإقليم وحفظنا فيه وفي
أشباهه الكرام وجعلها كلمة باقية في عقبه بلا انصرام:

والله يقيمه لنا سالما بزاده تبجي ل وتكريم

وكتبه محمد المدني ابن الحسيني لطف الله به.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس محكمة الجنايات العليا العلامة سيدي محمد
العربي بن أحمد الناصري:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد فإن مجد كل دولة وفخرها، وتمدنها وحضارتها إنما يعرف بما سجله لها علماء التاريخ والأخبار، مما خلدته من المآثر والآثار، التي لا يعفوها مرور الأجيال والأعصار، وبما مهدته من سبل العمران التي تدعو إليها ضرورة الاجتماع البشري من مشاريع وقواعد هامة، ومصالح ومرافق عامة، ونشر العلم الصحيح والاعتناء بأهله، وتنظيم مسالكه المقربة لتحصيله المعينة على الجمع بين فروعه وأصوله، فذاك لعمرى الشاهد العدل والدليل القاطع على فضل الدولة وما بلغت من الرقي والعظمة والترف والنعيم، والثروة الضخمة والفخر والعز القديم، وهذا القطر المغربي صانه الله غني بآثاره المنبثة في مدنه وأمصاره حتى أنك لتكاد تقرأ آياتها بين أسواره وأحجاره، وتباهك أطلالها بما انطوى من صحف أخباره، وخفي من مكنون أسرارها، كل ذلك مما تسابق في تأسيسه الملوك الأولون، وتنافس في تشييدها الأمراء السابقون، قياما بواجب ما طوقهم الله به من رعاية خلقه وحفظ نفوسهم، وصيانة حقوقهم وحرصا على تخليد ذكركم وإبقاء مآثرهم:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبشامخ البنيان
إن البناء إذا تقادم عهد أضحى يدل على عظيم الشأن

ولا شك أن دولتنا الشريفة ذات المجد الشامخ والفخر الثابت الراسخ من أكثر الدول فيه آثارا، وأعظمها له استعمارا، وأجلها في ذلك شواهد وأخبارا بما شيده فيه ملوكها العطاء الهداة الأعلام أئمة الدين وحماة الإسلام من معالم الحضارة وأسسوه من الأبنية الضخمة والعمارة ومهدوه من طرق المواصلات والتجارة، وقرروه من نشر العلم وتهذيب أساليب التعليم، وحافظوا فيه على الدين وسلوك سبيله المستقيم، مما سيظل إن شاء الله قرونا عديدة، وأدهارا متطاولة مديدة، ناطقا بعلو كعبهم في هذا

الشأن شاهدا عدلا على تفوقهم في الميدان على من تقدمهم من الملوك الأعيان فيها غير من الأزمان:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ولقد كانت هذه الآثار على كثرتها واختلاف أنواعها لا يعلم جل الناس إلا القليل من أخبارها، ولا يدرون السبب الداعي لإيجادها، ولا يميزون بين قديمها وحديثها، ولا يفرقون بين ما أسسه كل واحد من الملوك على حدة مع ما في تعرف ذلك من عظيم الفائدة وطالما تشوف عشاق التاريخ والمولعون بالبحث عن الآثار لمن يخوض هذا المضمار، ويكشف عنها الستار؛ لأن الموضوع على نفاسته لم يطرقه إلا نفر قليل؛ مخصصين ناحية معينة منه بالبحث والتحليل، إذ لا يتسنى لأحد أن يجمع بين أطرافه، أو يحيط بأوصافه، إلا إذا كان له في ذلك باع كبير واجتمع لديه من المؤلفات الشيء الكثير ثم يعكف عليها بالدرس والتقليب والبحث والتنقيب ليحظى منها بالفائدة ويحصل على المقصود، ويعثر على الضال المنشود، وقد جمع الله كل ذلك لحبيينا وصديقنا العلامة المؤرخ الشهير الدراكة الباحث المطلع الخبير الشريف الأصيل النقيب الأمد الأثيل فخر الكرام وعين الأشراف الأعيان أبي زيد مولانا عبد الرحمن ابن زيدان زاد الله في رفعة وبلغه غاية أمنيته فتصدى للموضوع وأعطاه حقه بحثا ودرسا، ولم يُبق فيها احتمالا ولا لبسا، وأبرز لنا في مآثر دولتنا الشريفة كتابا قيما نفيسا، أظهر فيه محاسنها، واستعرض فيه مفاخرها وجلى للعيان مجدها، حتى صار مشاهدا ملموسا وقد طالعت فالفيتها أتقنه صنعا وأحسنه وضعًا، وبرع فيه ترتيبا وجمعا وإن كانت مفاخر ساداتنا الملوك الأشراف العلويين لا تحصى ولا تحد ولا تستقصى، فقد أتى بما لم يأت به غيره ممن سبقه من علماء هذا الشأن؛ ولا غرابة في ذلك فإنه المجلي في هذا الميدان ولا يختلف فيه اثنان، فإنه حفظه الله لم يدع أثرًا إلا ذكره واستوعب أصله وخبره ونوه به ونشره من عهد مولانا الرشيد وصنوه مولانا إسماعيل إلى زمن مولانا

الإمام الهمام الجليل فخر الدولة العلوية وفرع الدوحة الهاشمية أمير المؤمنين أبي عبد الله سيدي محمد أدام الله عزه وفخره، وزين بالمآثر الدينية والدينية دولته وعصره فقد تتبع ما أحدث في عصره إلى زمننا هذا من المآثر العظيمة والمفاخر السامية ونسقتها تنسيقاً وحقق ذلك تحقيقاً، وكيف لا وبوجوده أشرقت شمس المعارف العلمية وارتفعت أعلام هذه المملكة المغربية، واشتهر أمرها في الأفطار والممالك القاصية والدانية، وصارت والحمد لله تتقدم بقدماً ثابتة في طرق الرقي والمدنية والحضارة العربية الإسلامية أمد الله بتوفيقه ورعايته وبلغه أمنيته في دولته ورعايته، وأقر عينه بولي عهده وأشباه الكرام وسائر ذريته، آمين.

هذا وكم لهذا المؤلف الجليل والسيد السري النبيل من يد بيضاء على هذه الدولة الميمونة الغراء بما جمعه من أخبارها ونشره من آثارها؛ فإنه أعانه الله صرف همته لخدمة بيته الكريم بعزم صادق فقام منذ نشأته على قدم وساق، وجال في البلاد والآفاق، والتقط الدرر من بطون الدفاتر والأوراق، واستخرج مكنونها من بين الأنقاض المردومة، والأحجار المركومة والكتابات التي كادت أن تعد معدومة فكم قاسى من شدائد في تنسيق تلك الفوائد وقيد من شوارد في تسطير تلك الشواهد الحاوية للطارف والتالد، من مجد آل علي الشريف الخالد وكم صرف من الوقت النفيس الكبير وأنفق من المال الكثير، ولا ينبئك مثل خبير، وبالجملية فقد تهيأ له ما لم يتها لغيره، وفتح له فيه بما لم يفتح لأحد من أهل عصره، فحقه أن يجازى على ذلك ويشكر، ويعلن فضله ويذكر، على أن مولانا الإمام أيده الله يعرف له ذلك ويرفع من قدره، ويشيد بذكره. ويرمقه بعين الإجلال والإكبار، ويخصه بمزيد الحظوة والاعتبار، أبقى الله جلالته لرفع مقام أهل العلم والدين، وتقدير الأكفاء المستحقين من رجال دولته النصحاء المخلصين، حتى ترتقي أمته في أيامه إلى أعلى درج المفاخر وتظهر بين الأمم في أشرف المظاهر بجاء جده عليه السلام، أنه تعالى ولي كل فضل

وإنعام، والسلام حرر بمحروسة فاس في عاشر صفر الخير عام ١٣٥٦ الموافق ٢٢
إبريل سنة ١٩٣٧: محمد العربي الناصري لطف الله به.

وكتب عليه صاحب السعادة مندوب الصدر الأعظم في المعارف العلامة سيدي
محمد بن الحسن الحجوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنسارهم عظيم دليل مآثر ومفاخر جللت عن المقدار

أما بعد فقد تشرفت بمطالعة كتاب مآثر الدولة العلوية بالمغرب الذي أملته قريحة
أخي وصديقي حق صديق الأستاذ الجهمذ مؤرخ المغرب ولسان مآثره المغرب النقيب
الأجل مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، وما أدراك ما ابن زيدان: مجد شامخ، وعلم
راسخ، وأدب فائق، وشعر رائق، يعترف له أصحاب الخيال وأنصار الحقائق،
وساحة ورجاحة، وبشاشة وصراحة، واقتدار زائد يتلوه شاهد، طالعت جُل هذا
الكتاب وراجعته، وأمعت في النظر وأمتعت، فإذا هو كتاب يقرظ نفسه بنفسه، وينم
عرفه عن غرسه، لا يمل مطالعه، ولو عظمت موانعه، بل لا يقف الواقف عليه إلا إذا
استنزف معينه، واستجلى عينه وجاء على آخره ويكفي هذا من مفاخره إذ هو كالمؤمن
للمؤمن قد أحكم مبناه، واتضح معناه، وتماسكت حلقاته وتطابقت فقراته ومنذ
سمعت قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لم أجده منطبقاً إلا عليه، ولا
يصلح وصفاً إلا له، وما هي بأول بركتكم آل إسماعيل، وهو مع ذلك جامع لمآثر هذه
الدولة الشريفة العلوية الخالدة الوجود، والذي يستمد من مآثرها الوجود جمع تعميم
محكم السبر والتقسيم، يضم الطارف للتالد ويؤلف بين المعروف والشارد يرجع بك
أدرجا إلى عهده الأول الزاهر حتى كأنك فيه حاضر ويسلك بك بين تلك المشاهد
والمعاهد ويملي عليك من تلك الأعمال الأوابد ما تظن معه أن مؤلفه عاش من أول
الدهر واستقى من كل بحر، ووقف على كل طلل وشرب عللا بعد نهل، حتى يصل

بك إلى عهد هذا الإمام المظفر الهمام أمير المؤمنين مولانا محمد بن يوسف الذي أقام على تلك الشنشنة الشواهد ورفع من الدين القواعد فليبلغ الغائب الشاهد وفيه يصدق القول المتواتر: كم ترك الأول للآخر وأدام الله ملكه لهذا الدين ركننا يأوي إليه ولهذا الوطن ظلا يرف عليه، وأراه في ولي عهده وأنجاله ما تقر به عينه وعين أمته ويزيد في رقيها ما يحصل به كامل مسرته، فأهنيك يا بن زيدان على ما نشرته من طي هذا المجد الرفيع، والشرف المتيع، مجد هذه الدولة العظيمة المآثر الموفورة المفاخر، ذات اليد البيضاء الظاهرة على الدين والملة الطاهرة، فاكتمل بعملك هذا رونق تاريخ هذه البلاد وارتفع به رأس المغاربة بين العباد، وإني أعدك بتأليفك هذا من جدّد لهذه الدولة المباركة عمرها الثاني وأعيدك بالسبع الثاني من الحاسد والشاني فشكراً لك ثم شكراً يسجله لك عملك الخالد ويخلده لك لسان الأيام الشاهد في صحيفة من خدموا هذا الوطن بإخلاص وصفاء، فليكن ذلك حظك وكفى، حرره بفاس في ١٣ صفر الخير ١٣٥٦: خديم السنة محمد الحجوي.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس الديوان الملوكي الخاص العلامة السيد محمد معمري الزواوي:

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حمدا لمن أورث سياسة البلاد الصالحين من العباد، وأعقب أصحاب السيرة الناجحة ذرية زكية صالحة، وصلاة وسلاما على خير مبعوث بخير كتاب لخير أمة مؤيدا بخير الأصحاب، وعلى آله البررة الأنجاء الذين طابت بهم الرحاب، وزكت بفضائلهم الأتراب، وقويت بسيرتهم الأحزاب؛ أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وسن له سنا، وجعل الإنسان خليفته في الأرض وطوقه مننا، فأرسل رسله بالشرائع لتبين له المحجة، وكلفه باتباع أوامره واجتناب نواهيه لتتوجه عليه المحجة، فمن سلك الرشاد فاز في الدارين فوزا عظيما ومن جنح للفساد كان سعيه فيها عقيا

وقد دلت على هذه المقدمات الثابتة، شواهد التاريخ سواء الناطقة منه والصامتة،
 ويكفي من أراد الوقوف على مدعم البرهان أن يراجع تاريخ الدول في متعاقب
 الأزمان، فمهما كان الصلاح رائد الملوك عقب الفلاح حسن السعي وقويم السلوك،
 ومتى بني على اتباع الشهوات أنتج متواصل الحشرات وبقدر ما يدوم الملك
 للمقسطين، يسارع الزوال صولة القاسطين، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولا
 دليل أقوى لتدعيم هذه الحجة وتحبيذ سلوك صالح المحجة من آثار الدولة العلوية
 الشريفة، لا زال المغرب يرقى تحت ظلالها الوريقة، فهذه ثلاثة قرون بل تزيد
 وسلطينها تتعاقب على عرش المغرب تؤسس أركان المجد وسروح المعالي تشيد، كل
 يسارع إلى حسن السبيل، ليحصل على لذى الثمرات كارها من المعين السلسيل،
 ممهدا في الصالح العام عويص العقبات؛ فمن بانٍ لقصور العز والفخار ومؤسس
 لأعمال تفتخر به الأبرار، ومشيد لزواهر المساجد يعمرها العالم والعايد، فمعاهد
 العلم تشدو بمفاخرهم المؤتلة والمشاريع الخيرية تنبئ عن كرائم أصوله المؤصلة،
 يجتدون بالنهار ليعم الإصلاح بلادا وعبادا ويقومون بالليل سجدا وعبادا، حافظين
 لهذه الدار عمارتها، راعين للأخرى حرمتها؛ فتعاقبوا تعاقب المصلحين وتوارثوا
 توارث عباد الله الصالحين:

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليها الكواكب

ومن العناية الإلهية أن يحفظ صالح الآثار ليبقى أية لذوي الاعتبار، تقيض من
 يتولى ما الإصلاح ما يهدده الزوال، كما تثير من يسطر مفاخر الأعمال ليدع بطون
 الدفاتر نفائس أثر الرجال، وهو ما قام به البحاثة اللبيب والمؤرخ الأديب سعادة
 النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فلقد سعى أولا في البحث حتى أمكنه الحصول
 على غاية المأمول من الأصول التي يتوقف عليها التأليف ويتم بها حسن التصنيف،
 فجمع من آثار السلف، ما يصلح لتعليم الخلف، وأتى به لبة افتخار لجيد الزمان

ووضعه على هام المجد كأنفس التيجان، تزهو بحسن صنعه الأيام، وتصول بجميل
وضعه الأعوام، وجاء تأليفه النفيس درة يكلم بها عقد عصرنا الزهري الزاهر، وتم بما
سلكه فيه من حسن التأسيس افتخار عهد مولانا الزكي الطاهر، سلطان البلاد
ومرشد العباد، ركن هيكل السعادة، وقطب فلك السيادة، الهام الذي تزدهي به
الأيام وتصول، الغصن اللدن الذي تورق به دوحة الرسول صلى الله عليه وسلم
وشرف قدره العظيم وكرم فخر الشباب في السلاطين، ومن غدا أعظم الأركان
للهدى وأمتن الأساطين، الكريم الغيور الممجد سلطان المغرب سيدي محمد أيد الله
مجده الأثيل، ومتعنا بفخره الأصيل إنه المجيب الكريم، الرؤوف الرحيم، كتبه في ١٥
خامس عشر ربيع الأول عام ١٣٥٦: عبدربه محمد العمري الزواوي لطف الله به.

وقال فيه أديب القطر الشنجيطي الفحل العلامة السيد ماء العينين بن العتيق زاد
الله في حسنه ومعناه ولا فض فوه:

إلى شطه والغير ما جاوز الشطا	أمن خاض بحر العلم في فلكه الوسطى
مساماته إلا حرج وانحطأ	ومارام في أفق التأليف مرتقى
فما قصيات السبق إلا له تُعطى	فؤادك في الآداب جولت طرفه
ولو شط في شأو المفاخر ما شطا	ومالك فضلايا (ابن زيدان) مشبه
أطلت لها في كل مكتبة مرطا	وعترتك الأملاك أبقت مآثرا
وأقلامكم في الصحف تنظمها سمطا	هم نثروها في الأقاليم لؤلؤا
وعلق في الآذان من سبكها قرطا	أقربها الأماق منكم مؤلف
ومن ذا سواكم يودع (الدرر) الخطا	فما هو إلا الدرر لله دركم
وفي ما اقتضاه عزم مبلغه شحطا	راه أمير المؤمنين (محمد)
وأجزلها لفظا وأجلها قسطا	أجل توارىخ السلاطين رنة
وأفضلها مغزى وأكملها ضبطا	وأرشدنا هديا وأبعدها مدى

فمال جميل الطبع منه لـ (طبعه)
وذاك اعتناء منه بالعلم والعلى
مآثر أبقاها (الرشيد) فصنوه
نجوم سماء و (ابن يوسف) شمسها
ملك مساعيه الحميدة يافعا
يني الذلق عن مدح الإمام ولو حدث
فمن يغترف ما استطاع من بحرهُ يُصب
فلزال بذكرًا في السعادة كاملا

وكان هذا الأسلوب يستحسن البسطا
وما الله من فخر لأسلافه أعطى
فالأبناء فالأسباط سبطا يلي سبطا
عقود جمان وهو عصاؤها الوسطى
تكلُّ وما تأتي المولك بها تُمطا
نواجي النهي تنصاع في يده خبطا
ومن يعترف بالمعجز عنه فما أخطا
وبحرًا يزيل الجهل والعسر والقحطا

في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ : بماء العينين بن العتيق الحسني الأدرسي الشنجيطي.

وقال فيه أديب سوس وعلامتها المشارك المرجوع إليه سيدي الطاهر بن محمد
اليفراني أطال الله بقاءه:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله

وافقت وقد جنّ الدجائزائرة
ذكرت العهد وشاقت إلى
يارية الحسن اربعي فالصبا
لولا (ابن زيدان) وهمة الـ
ما جالت الفكرة ناظمة
ندب تسامي مجده فسررت
خلق كما ثم النسيم على
وهمة تسمو السما فترى
به قضى المجد برغم الألى

غريرة ساحرة ساخرة
نجد وأيام الحمى الغابرة
بعد المشيب صفقة حاسرة
قعقسا وآلاء له ظاهرة
في حلبة القول ولانائرة
مسرى الصبا أمثاله السائرة
روض ذكت أنفاسه العاطرة
من تحتها أنسر ها الطائرة
مضوا بفضل الأعصر الحاضرة

علم ودين راسخ وتقى
 له التأليف التي بهرت
 مثل (العبير) نفساً وشذى
 قد حكمت لفكره أنه الـ
 قضى بها حق العلا ووفى
 أحياها رسم الملوك الألى
 سلالة المجد ونسل التقى
 عترة مولانا (الشريف) وما
 من في ملوك الدهر مثل (أبي الفـ
 ثم الملوك الصيد أبنائه
 إلى إمام العصر بدر الدجا
 سيدنا (محمد) بسن (أبي الـ
 القائل الفصل إذا ضلت الـ
 والقاتل المحل إذا أخلف الـ
 والناهن المهمة مهما ونت
 أقسمت بالمجد وآياته
 ما خطت الأقلام في ورق
 مثل معالي عزه الجابرة
 ولا بنت مثل علاه بنو
 أدامه الله لأمنه به
 ومعد في مدنسه كي ترى

وكسرم أمواجه زاخرة
 أهل النهى أسرارها الباهرة
 و(منزع الطائفه) وافرة
 بحر الخضم (الدرر الفاخرة)
 بالجد قدر العترة الطاهرة

ساسوا الورى بالهمم القاهرة
 شهب الهدى في الظلم الثائرة
 أدراك ما هم أسد كاسرة
 داء قطب الأنجم الدائرة
 سم العدا ذوي الجدى الوافرة
 مبيد أجناس العدا الجائرة
 حسن) مدبل الأمنة الساترة
 ثارا وكلت الطبأ الباترة
 سوى وشحت سحبه الماطرة
 عن المعالي الهمم الفاترة
 ومقلية في عزها ساهرة
 في السعي للسديا وللآخرة
 ما كسرت الفتن الكاسرة
 مروان في (الزهراء) و(الزاهرة)
 يحوطهم من فنة مأكرة
 في ملكه (الفسطاط) و(القاهرة)

ووجه المهمة منه إلى
 نادرة الدهر وواحد
 ذاك (ابن زيدان) الإمام أبو
 فاعن بطبع كل ما وشحت
 إعانة له على مهمة
 فهو لسان من مضى وأتى
 وفرها الله وأبداها
 ولا يزل مولاي يحنى النسي
 أمين أمين بلا متبهي
 يعلو به الدين ويهوي به
 ثم سلام الله ما وخذت
 ثم على أسلافه الطاهرة
 ما رنحت عطف الكريم رقى
 ثم صلاة الله دائمة
 على رسول الله ما نصرت
 وآله والصحاب من هجروا
 في ١١ ربيع الثاني عام ١٣٥٦.

وكتب العلامة المؤرخ الكاتب الأبرع السيد محمد بن علي الدكالي السلوي ما نصه:
 (الحمد لله) الذي فتح أقفال الكنوز العرفانية فبدا من نتائج الأفكار والعقول ما
 كان محجبا عن الأنظار، وأثار العقول بأنوار المعرفة الروحانية؛ فانقشع الغيم عن
 البصائر والأبصار، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النور الأعظم، والسر الإلهي

المطلسم، الذي أرشد أمته إلى المحجة البيضاء والطريق الأقوم وعلى آله الأبرار، وصحابته القادة الأخيار، الهداة الكبار، ما بدا في سماء المعرفة نجوم بل شمس وأقمار.

أما بعد فقد طالعت كتاب الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة؛ تأليف حبيبتنا الأنجد وصفي ودنا الأسعد الشريف الجليل الرفيع الشأن، العالم العلامة الحامل راية العرفان في كل ميدان النقيب الوجيه، الأريحي النزيه، المستغني بكمالاته الذاتية والأخلاقية والعرفانية عن كل تنويه مولاي عبد الرحمن الكبير ابن مولاي زيدان العلوي الإسماعيلي حرس الله مجده، وأشرق في أفاق المعالي سعده، فألفيته كتاباً مبتكر الوضع جميل الصنع، حشر فيه مؤلفه رعه الله من محاسن الدولة العلوية الشريفة السجلناسية، مما خلده ملوكها الكبار بالحضرة الإدريسية الفاسنية، من جليل الآثار، على مر الأعصار، فكان غرة جمال في جبين الدهر وطرز حسن لا يبلى ولو فنيّت الأجسام وبليت الأعمار ولما أطلعني عليه مؤلفه حفظه الله بدالي أن أكتب عليه سطوراً تؤذن بالاستحسان، وتبدي بعض ما لدي من الإمام بهذا الشأن في مجال هذا الميدان، فنقول:

كان العلماء في صدر الإسلام لا يتقدمون إلى التصنيف والتأليف والجمع إلا إذا علموا من أنفسهم الكفاءة والاعتدار على ذلك بما أوتوه من غزارة المادة، وكامل الاطلاع، وحسن السلوك في التصنيف، بالاختيار والانتقاء، وإرادة النفع وحفظ السنة والدين اللسان، وتخليد العلم للأعقاب، وكان الناس لعهدهم يعلمون مقدرتهم على ذلك وصلاحياتهم له فإذا ألفوا كتاباً أو كتبوا في موضوع تلقى ذلك منهم معاصروهم بالقبول وأقبل الناس على قراءته ودراسته والانتفاع به، وذلك عين تقريظه وتقريظه وتشيّفه، ومن هذا القبيل موطأ الإمام مالك رضي الله عنه وصحيح الإمام أبي عبد الله البخاري وصحيح الإمام مسلم رضي الله عنهما فجلالة المؤلف

والمؤلف كافية عن تقريظه.

ولما مضى الصدر الأول بما فيه من خير وبركة وثقة ومتانة دين وجاء الزمن الذي بعده صار الناس محتاطون لأنفسهم من التدجيل لارتفاع الثقة في الجملة، وصارت المؤلفات والمصنفات فيها مقبول ومنبوذ مع كثرتها وإكباب الناس على الكتابة في الغث والسمين حتى قيل إنه كان يرفع إلى الخليفة المأمون العباسي ببغداد من بلاد البصرة عشرون ألف كتاب في النحو في السنة من عشرين ألف مؤلف ومصنف فيقبلها ويميز عليها تنشيطا للعلم والعلماء؛ من أجل ذلك استراب المحتاطون لدينهم فصاروا لا يقبلون كل ما يلقي إليهم من هذه الأصناف إلا ما سلمه العلماء بعد النقد والتحري والاختبار، وكان قضاة الإسلام بالأمصار الكبرى يرقبون حركة التأليف فيحكمون على الزائف بالمحو والإعدام وكان الملوك تبعاهم في هذا المذهب السديد ينفذون أوامرههم ويتمسكون بأقوالهم قبولا وردا؛ فاحتاج المؤلفون إلى الشهادة بصحة تأليفهم فأوجدوا لها طريق التقرير والكتابة التي هي في حكم الشهادة المثبتة لصحة العمل وقبوله.

وقد رأيت ذلك صادرا في حق كتاب سيبويه الإمام في النحو، وفي المائة الرابعة لغيره حسينا في طبقات الأمم للقاضي أبي العلاء صاعد القرطبي رحمه الله، وفي المائة الخامسة والسادسة حسبا في يتيمة أبي منصور الثعالبي وذخيرة ابن بسام، وقلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح ابن حاقان، ففي هذه التأليف المذكورة تقارير وتقرير وتشنيف لكثير من الموضوعات والتأليف وعليه فالتقرير بمثابة الحلية للعاطل وذو الجمال الكامل غير محتاج لحلية بل صورته الجميلة تفضح الدر والياقوت بجماها وبهائها.

وكتاب سيدنا الشريف الأنجد، الثقيب الأسعد، مولاي عبد الرحمن ابن زيدان حفظه الله من هذا القليل فهو بنظر العقل السليم بمثابة حسناء ذات جمال فتان كساها

الله من بهاء نوره وباهر الملاحه وما أغناها عن التحلية بالدر والياقوت والعقيان مثلها
 قيل:

رفعت نقاب جاهلها الفتان فمحت محاسنها سنا العقيان

فهو كتاب عظيم المقدار، غريب المتزع والاعتبار، يصور لك المآثر والآثار الدينية
 والدينية التي خلدها عظماء ملوك الدولة العلوية الرفيعة الذكر الجليلة المقدار، وكفاه
 فخرا وشرفا أن كان مفيدا في بابه، منفردا في نظر طلابه، لم يسبقه سابق إلى جمع تلك
 النظائر النفيسة في كتاب فيما نعلم جزى الله مؤلفه أفضل جزاء، وجعل له من الأعمال
 المدخرة ليوم يعظم فيه الرجاء، وأعانه على الدءوب في سلوك هذه المسالك والسير
 على هذا المنهاج الجميل، الذي هو بإحياء المجد والفخار كفيلا، وبارك في عمر مؤلفه
 وأطال حياته في سعادة وهناء، كما طال ذكره في الأرض والسماء، والله يحرس مجده،
 ويطيّل في الترقيات سعده، آمين آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين
 والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكتبه خديم العلم ومحب أهله الصادقين محمد
 بن علي الدكالي السلوي عامله الله بخفي لطفه آمين في ١٠ جمادى ٢ عام ١٣٥٦.